جامعة زيان عاشور – الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ والآثار

الفـــكـر الـتـاريخـي عنـد عبد الرحمن ابن خلدون (732-808هـ/ 1332-1406م)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب: رابح بن نونة **إشراف الدكتور: مسعـود جباري**

أعضاء لجنة المناقشة	
د. ميلود بن حاج	رئيسا
د. مسعود جباري	مشرفا ومقررا
د. ياسين شبايبي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1444 - 1445هـ/ 2023- 2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدتي ــ حفظها الله ــ.

وإلى جميع أفراد عائلتي، كبيرهم وصغيرهم.

شكر وعرفان

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

أحمد الله وأشكره على توفيقه لإتمام هذا العمل، فله الحمد أولا وآخرا.

وقال النبي ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النّاسَ».

فأشكر الأستاذ الدكتور مسعود جباري، على ترحيبه بالإشراف على هذه المذكرة، وما قدمه من توجيه وإرشاد، ليكون البحث في صورة لائقة.

وأثني بالشكر لجميع أساتذة تخصص غرب إسلامي بجامعة الجلفة،

وأشكر كل من ساعدني من زملاء الدفعة خلال مرحلة الدراسة.

فجزى الله عني الجميع خير الجزاء

المقــدمــة

مـــقـدمـــة:

تتعاقب الأمم على دور القيادة في مسيرة الحضارة البشرية عبر القرون، وقد اضطلعت الأمة الإسلامية بهذا الدور خلال ما يعرف بفترة العصور الوسطى، فكانت الأمة الإسلامية قد بذّت سواها في الرقي الحضاري، والسمو الإنساني، والتفوق العلمي.

وأنجبت أمة الإسلام خلال فترة تألقها كثيرا من الأسماء التي اعترف الزمان بعبقريتها وتفوقها. ومن بين تلك الأسماء نجد اسم ابن خلدون، والذي ظهر في فترة كانت شمس الحضارة الإسلامية تميل إلى المغيب، وتقلص العطاء الفكري والحضاري للمسلمين.

وقد كانت إسهامات ابن خلدون الفكرية والعلمية متعددة الأوجه، فشملت عدة ضروب من المعرفة، منها علم الاجتماع وعلم السياسة والاقتصاد والتربية. ومن أبرز ما قدمه الفكر الخلدوني هو إسهامه المعتبر في علم التاريخ، وهو الجانب الذي سنحاول أن نسلط الضوء عليه من خلال هذه الدراسة العلمية، والتي جاءت بعنوان:

الفكر التاريخي عند عبد الرحمن ابن خلدون.

أسباب اختيار الموضوع:

* الأسباب الذاتية:

- الرغبة في التعرف على ما قدمه ابن خلدون في مجال التاريخ.

- أن البحث في موضوع حول المنهجية، له أهمية من حيث التأسيس لقاعدة متينة في علم التاريخ.

* الأسباب الموضوعية:

– بيان أثر ابن خلدون في تطوير الفكر التاريخي، وسبقه في هذا المجال.

– إبراز فكر ابن خلدون في فلسفة التاريخ.

أهمية الموضوع:

لاشك أن دراسة تراث الأمة وآثار أعلامها مما يجب أن يعتنى به أشد العناية، ولا ينبغي لنا أن نكون فيه من الزاهدين، وذلك لكي نفهم هذا التراث على حقيقته، ولنقف على مواطن الابتكار وعناصر الخلود فيه، ولا يكون شأننا مجرد التفاخر والتغني به، دون معرفة صحيحة به.

أهداف الموضوع:

تهدف هذه الدراسة إلى:

– إبراز جوانب التميز في نظرة ابن خلدون للتاريخ، وتسليط الضوء على محاولته لتطوير علم التاريخ.

– تثمين مساهمة الحضارة الإسلامية في التأسيس لعلم التاريخ الحديث.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة فإن جلّ ما عثرت عليه منها كانت تتناول جانبا محددا من الموضوع الذي تناولته، ماعدا رسالة وحيدة، تناولت الجانب التاريخي عند ابن خلدون بصفة عامة، وهي:

– رسالة دكتوراه لخلدون الحباشنة بعنوان (ابن خلدون والتاريخ)، نوقشت بالجامعة الأردنية سنة 2010م. واستعنت بها في الفصل الأخير، عند الحديث عن تاريخ ابن خلدون، وما أوردته من أمثلة في هذا الفصل حول منهجية ابن خلدون في كتابة التاريخ.

طرح الإشكالية:

انطلقت في هذه الدراسة من خلال الإشكالية التالية: كيف كان الفكر التاريخي عند ابن خلدون؟ وتندرج ضمنها إشكاليات فرعية هي:

- كيف أثّرت أطوار حياة ابن خلدون وظروف عصره على فكره التاريخي؟

- وكيف بدا الجانب التنظيري في التاريخ عنده؟

- وما مدى تطبيقه لنظرياته على التدوين التاريخي؟

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي، عند التعرض لحياة ابن خلدون وعصره، وفي التعريف بكتاب العبر. واعتمدت على المنهج التحليلي في شرح نظريات ابن خلدون. أما تتبع الأمثلة التاريخية التي تبين منهجية ابن خلدون في السرد التاريخي، فهو يعتمد على المنهج الاستقرائي.

الخطة المتبعة في الدراسة:

انتظمت مواد هذا البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

- الفصل الأول: تناول حياة ابن خلدون وعصره، وهو في مبحثين، الأول عن الأوضاع في عصر ابن خلدون، السياسيةِ والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والمبحث الثاني عبارة عن ترجمة لحياة ابن خلدون.

- الفصل الثاني: حول الجانب النظري للتاريخ عند ابن خلدون، وفيه مبحث عن منهج نقد الروايات عند ابن خلدون، ومبحث عن فلسفة التاريخ ومفهوم التاريخ عنده، وعلاقة التاريخ بعلم الاجتماع الخلدوني.

– الفصل الثالث: حول كتابة ابن خلدون للتاريخ، اشتمل على وصف كتاب العبر، ومنهج ابن خلدون في كتابة التاريخ في مبحث، وفي مبحث آخر على دراسة مدى تطبيق ابن خلدون لنظرياته عند تدوينه للتاريخ.

– وكانت الخاتمة عبارة عن خلاصة ونتيجة لكل مبحث من مباحث المذكرة.

– كما ألحقت الدراسة بمجموعة من الفهارس، وهي: فهرس الأعلام، وفهرس القبائل والشعوب والدول، وفهرس الأماكن.

الإطار الزماني والمكاني:

الإطار الزماني المكاني لهذا البحث محدد بحياة الشخصية التي هي موضوع المذكرة، فتحدد زمانيا بالقرن الثامن الهجري، ومكانيا بالأقطار التي أقام بها وهي المغرب ومصر والأندلس والشام.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

المصادر المعتمدة في البحث هي كتاب العبر لابن خلدون، بأقسامه الثلاثة. فاعتمدت في ترجمة المؤلف على الترجمة الذاتية التي ألحقها ابن خلدون بتاريخه، ورجعت إلى الكتاب الأول من تاريخ ابن خلدون، والمعروف بالمقدمة في عرض نظرياته، وكانت بقية أجزاء الكتاب مجالا لدراسة وتقويم المادة التاريخية قدمها ابن خلدون.

واستفدت في ترجمة ابن خلدون من كتابات معاصري ابن خلدون عنه، وهم ابن الخطيب وابن الأحمر في المغرب، وكانت ترجمتهم له قبل رحيله إلى المشرق. وما كتبه عنه معاصروه وتلاميذه المشارقة، أعني ابن حجر العسقلاني والمقريزي، وكانت إضافاتهم في ترجمة حياته تخص الفترة التي قضاها في المشرق.

أما المراجع الحديثة فهي متعددة، ومن أهمها (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) لساطع الحصري، وقد تميزت بأصالة بحوثها وتناولها لسيرة ابن خلدون وأفكاره بصفة عامة، واستعنت به في شرح وتقريب نظريات ابن خلدون التاريخية. وكتاب (ابن خلدون مؤرخا)

لحسين عاصي، وقد اقتصر مؤلفه على دراسة الجانب التاريخي عند ابن خلدون، فاستخدمته في الفصلين الثاني والثالث.

وفي الأخير أود أن أشير إلى التنبيهات الآتية:

– اقتصرت عند الإحالة في الهامش، على ذكر المؤلف وعنوان الكتاب، والجزء – إن وجد – ورقم الصفحة، وأرجأت ذكر بقية المعلومات إلى فهرس المصادر والمراجع.

– عند الإحالة بعد المرة الأولى، أذكر اسم المؤلف، متبوعا بالحرفين: م س، أعني بذلك: مصدر أو مرجع سابق.

– اعتمدت في الإحالة على طبعتين للمقدمة، الأولى طبعة علي عبد الواحد وافي، وأشير إليها هكذا: (ط/وافي). والثانية طبعة خليل شحادة لتاريخ ابن خلدون، والتي يمثل الجزء الأول منها مقدمة ابن خلدون، وأشير إليها ب: (ط/شحادة).

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث في المستوى المطلوب، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

الفصل الأول:

عصر ابن خلدون وحياته

المبحث الأول: عصر ابن خلدون

المبحث الثاني: حياة ابن خلدون

المبحث الأول: عصر ابن خلدون

عاش ابن خلدون في «العصر المملوكي»[1]، وهو يقابل فترة «ما بعد الموحدين» في بلاد المغرب.

وفيما يلي أهم خصائص هذه الفترة، مع التركيز على المغرب خصوصا ثم مصر، لأن ابن خلدون قضى حياته بين هذين القطرين.

أولا: الأوضاع السياسية:

تميزت أوضاع البلاد الإسلامية في تلك الفترة بالتفرق والتمزق، لا سيما بعد سقوط بغداد بيد المغول، وكثُرت الصراعات الداخلية بين أمراء المسلمين بسبب التنازع على الحكم والسيطرة، مع تزايد الضغوط الأجنبية التي تمثلت في الغزو التتاري، وهجمات الدول الأوربية.

فقد دخل المغرب في حالة من الفوضى السياسية، بعد انهيار الدولة الموحدية، التي كانت تحقق الوحدة لأقطار المغرب والأندلس، والمجتمع المغربي بمختلف مكوناته.

ولما ضعف شأن الموحدين، ثارت ضدهم القبائل القوية، وقامت على أنقاض دولتهم ثلاث دول هي:

– الدولة الحفصية في إفريقية: كان جد الحفصيين من أصحاب ابن تومرت، وصاروا ولاة إفريقية في عهد الموحدين، وأول من استقل منهم هو أبو زكريا يحيى بن محمد ابن أبي حفص سنة 625هـ. وانقسمت إلى ثلاث إمارات متصارعة: تونس وقسنطينة وبجاية، ثم توحدت ثانية[2].

---

[1] – يسمى العصر الذي عاش فيه ابن خلدون بـ«العصر المملوكي»، رغم أن المماليك لم يحكموا إلا جزءا من العالم الإسلامي، لأنه لا بد من اسم تعرف به تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، وأطلق عليه هذا الاسم لأن المماليك كانوا لهم ميزة جهاد الصليبيين والتتار، ولوقوع دولتهم في قلب العالم الإسلامي، ولأنها احتضنت مقر الخلافة بعد سقوط بغداد، وكذلك حكمت الحرمين لمدة من الزمن. (محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العصر المملوكي، ص5–6).

[2] – حسين مؤنس: أطلس الإسلام، ص 182.

– الدولة المرينية في المغرب الأقصى: كان بنو مرين بالمغرب الأوسط فدفعهم بنو هلال غربا، فاستقروا بنواحي سجلماسة، محالفين للموحدين، ثم دخلوا معهم في صراع، فاحتلوا شمال المغرب، وجعلوا فاس عاصمتهم[1]، ثم دخلوا مراكش، وأنهوا دولة الموحدين، عام 668هـ[2].

– دولة بني زيان بالمغرب الأوسط: دفع بنو هلال بني عبد الواد، من الزاب إلى نواحي تلمسان، قامت دولتهم سنة 633هـ، على يد يغمراسن بن زيان، دخلت في صراع مع المرينيين، فاحتلوها سنة 738هـ، لمدة ربع قرن، ثم استعادت استقلالها[3]. وعانت من وقوعها بين الدولتين.

– مملكة بني الأحمر: تأسست سنة 629هـ، في منطقة غرناطة، وكانت جزءا صغيرا من شبه الجزيرة، التي وقع أغلبها بيد النصارى، لكنها عمرت بالسكان والمقاتلين الذين هاجروا إليها. كانت في صراع دائم للبقاء، وانتفعت بمعاونة بني مرين العسكرية، إلى أن سقطت عام 897هـ[4].

كانت العلاقة بين دول المغرب الثلاث علاقة عداء مستمرة، وكان الصراع على العرش بين أفراد العائلات الحاكمة، سببا لكثرة الاضطرابات والمؤمرات داخل كل دولة. وكانت تُستخدم في الصراع القبائل القوية –البربرية والعربية–، والتي كانت تدخل في خدمة هذا الأمير أو ذاك، مقابل ما تحصل عليه من مكاسب، وكانت بعضها بمثابة دويلات مستقلة، لا تتبع للسلطان[5].

---

[1] – حسين مؤنس: أطلس الإسلام، ص 182

[2] – تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 353.

[3] – حسين مؤنس: م س، ص 183.

[4] – نفسه، ص 190.

[5] – ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص 67.

أما في المشرق، و«بعد سقوط الخلافة العباسية تسلم المماليك قيادة العالم الإسلامي... وقدموا تضحيات كبيرة، فأوقفوا زحف المغول، وطردوا بقايا الصليبيين... وأحيوا الخلافة، رغم ما شاب وضعهم الداخلي من اضطراب»[1].

ويمكن أن نميز بين فترتين من حكم المماليك:

- عصر المماليك البحرية 648-784هـ: تم خلاله القضاء على كل أملاك الصليبيين، وكانت دولة المماليك تسيطر على مصر والشام والحجاز واليمن[2]. وأوقفوا زحف المغول في عين جالوت (685هـ)[3]. وعلى العموم كان عصرهم شديد الاضطراب، فأغلب سلاطينهم -وهم قريب من ثلاثين- خلع أو قتل، وقليل منهم توفي أو اعتزل[4].

- عصر المماليك البرجية 784-922هـ: شمل حكمهم مصر والشام، وأولهم السلطان برقوق[5]، وترجع أصولهم إلى قبائل الجركس من القوقاز، وصلوا للحكم بعد أن أزاحوا المماليك البحرية، وكان العرش محل صراع بين الأمراء الأقوياء، فكثرت الفتن، وقل توريث الحكم[6].

وعموما فالأوضاع السياسية في مصر أكثر استقرارًا بكثير من أوضاع البلاد المغربية، وإن حدثت أزمة سياسية، حول منصب الحكم، فإنها تبقى محصورة بين المماليك[7].

وظهر العثمانيون منذ أواخر القرن السابع[1]، وقاموا بحروبهم وتوسعاتهم في آسيا الصغرى وأوربا الشرقية، ضد ممالك النصارى، إلا أن فتوحاتهم توقفت بعد أن دخلوا في

---

[1] - محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 11.

[2] - حسين مؤنس: م س، ص 310.

[3] - نفسه، ص 320 وما بعدها.

[4] - محمود شاكر: م س، ص 35.

[5] - **الملك الظاهر برقوق (738-801هـ)**: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة. وعاد إلى مصر، وانتزع السلطنة من آخر بني قلاوون (الصالح، أمير حاج) سنة 784هـ. تولى من سنة 784 إلى 790 ثم من 792 إلى 801هـ. وكان حازما شجاعا فيه دهاء ومضاء. أبطل بعض المكوس وحُمدت سيرت (الأعلام للزركلي ج2، 48). وقد عاصره ابن خلدون أكثر مدة إقامته بمصر.

[6] - محمد سهيل طقوش: م س، ص 327 وما بعدها.

[7] - ساطع الحصري: م س، 68.

صراع مع التتار بقيادة تيمورلنك، فانهزموا في معركة أنقرة سنة 805هـ. وتجددت دولتهم سنة 816هـ[2].

أما العراق فكان تحت حكم الجلائريين، وهي أسرة مغولية، امتدت دولتهم بين سنتي (736-835هـ) شمل حكمهم غرب إيران وأذربيجان، وكانت عاصمتهم بين بغداد وتبريز[3].

وقد شهد ذلك العصر غزوات تيمورلنك المدمرة، وكان قد استقل بالحكم في سمرقند حوالي سنة 765هـ، ثم توسع في خراسان وفارس والعراق، وقاد غزوات كبيرة إلى روسيا والهند، وحارب المماليك فاستولى على حلب ودمشق سنة 803هـ، وهزم العثمانيين وأسر بايزيد. وكان مسلما إسلاما ظاهريا، وسار على نهج جنكيز خان في الإرهاب والتدمير. توفي عام 808هـ[4].

الأوضاع في أوربا: في الوقت الذي كانت الحضارة الإسلامية تتراجع، كانت أوربا قد اقتربت من نهاية القرون الوسطى المظلمة، وعرفت السنوات الأولى من القرن 14م (8هـ)، بداية عصر النهضة الأوروبية، التي نشأت أولا في إيطاليا ثم انتشرت. فظهرت إنجازات ضخمة في مجالات الفنون والمعرفة، على يد عدد من المفكرين والمبدعين. وتزعزع مركز البابا والكنيسة وهاجمها الناس في مواضع عديدة، ففقدت الكنيسة الكاثوليكية قدراً كبيراً من نفوذها. وفي الوقت نفسه أصبحت قوة الملوك المتزايدة تمثل تهديدًا لسلطة البابا والإمبراطور الروماني. وتزامن ذلك مع انهيار نظام الإقطاع، وتغير النظرة إلى الملك على أنه رأس الدولة، لا رأس الإقطاع[5]. وتميز هذا القرن باستمرار سيطرة المدن الإيطالية على الملاحة في البحر المتوسط[6].

---

[1] – ذكرهم ابن خلدون في تاريخه في فصل بعنوان: (الخبر عن الدولة المستجدّة للتركمان في شمال بلاد الروم إلى خليج القسطنطينية وما وراءه لبني عثمان وإخوته). يُنظر: تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 634-635

[2] – محمد سهيل طقوش: م س، ص 346-351.

[3] – ساطع الحصري: م س، ص 67. وموسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (إلكترونية).

[4] – حسين مؤنس: م س، ص 241 و243.

[5] – يُنظر: محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص 22 وما بعدها. والموسوعة العربية العالمية (نسخة إلكترونية)، مادة: أوربا، البندقية.

[6] – مجدي سلام: العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية، دكتوراه، إشراف: قاسم عبده قاسم، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 2004-2005م، ص 55.

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية:

أ) الأوضاع الاجتماعية بالمغرب: عرفت الأوضاع الاجتماعية تدهورا بسبب حالة التفكك السياسي، ويؤكد ابن خلدون على التأثير البالغ للطاعون الجارف على الأوضاع بالمغرب[1]. وفيما يلي سنذكر بعض ملامح المجتمع المغربي:

1- مكونات المجتمع المغربي: كانت الغالبية العظمى من السكان هم البربر والعرب، فهما -على حد تعبير ابن خلدون- «الجيلان اللّذان عرف بالمغرب مأواهما ...، حتّى لا يكاد يتصوّر فيه ما عداهما». وتشكل المجتمع المغربي حينها من الفئات التالية:

- البربر: كان أغلبهم مستقرين في القرى، وبعضهم رحالة مثل زناتة[2]. وكانت ممالك المغرب الثلاث بربرية الأصل.

- العرب: منهم حضرٌ، وهم الذين دخلوا بلاد المغرب خلال القرون الأولى، وأغلبهم من اليمنية. أما الموجات التي دخلت في القرن الخامس، وهم بنو هلال وبنو سليم، فأغلبهم ظواعن، وبدأوا بالاستقرار شيئا فشيئا.

- الأندلسيون: بعد تساقط مدنهم بأيدي النصارى، بدأوا بالهجرة نحو المغرب، وذلك منذ منتصف القرن السابع الهجري، وكان مقصدها في الأول إفريقية تحت حكم الحفصيين، لأنهم كانوا ولاة بالأندلس. وكان للأندلسيين أثر بارز في جميع النواحي الحضارية في المغرب، وتولوا وظائف إدارية وعلمية مهمة، وكان مقامهم بالحواضر الكبرى[3].

- أهل الذمة: تزايدت أعداد اليهود في المغرب، بعد فرارهم من الاضطهاد النصراني بالأندلس. وكانت لهم جاليات في الحواضر المغربية، واستعملهم السلاطين في بعض

---

[1] - يُنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 42 (ط/شحادة).

[2] - ابن خلدون: م س، ج6، ص 165

[3] - عبد الجبار صديقي: التحولات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي خلال مرحلة اضمحلال الدولة الموحدية، مجلة دراسات، جوان 2016، ص ص 278-295، ص 282.

الأعمال، وكان لهم دور بارز في النشاط التجاري، وخاصة تجارة العبور، وسيطروا على أسواق الذهب[1].

أما النصارى فكانوا جميعا من الأوربيين، إذ أن آخر ما تبقى من آثار النصرانية في بلاد المغرب قد اندثر، تحت تأثير الحركة الموحدية. وقد اتخذ بعض الأمراء فِرَقًا منهم في الجيش. أما التجار النصارى فكانوا يقيمون في فنادق خاصة[2].

2- مجتمع قبلي: أهم ظاهرة في المجتمع المغربي هو الطابع القبلي، ولا يمكن فهم أحوال المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دون اعتبار هذه الخاصية. وما تأكيد ابن خلدون على دور «العصبية»، إلا انعكاس لأهمية النظام القبلي في شؤون الحياة بالمغرب.

كان غالب السكان قبائل متطاحنة، والتي تكون محالفة للسلطة حينا، ومتمردة عنها حينا آخر. وكانت كل قبيلة عبارة عن جيش متأهب للقتال، وحتى الدول المغاربية، أسستها قبائل قوية، وكسبت ولاء القبائل الأخرى، إما بالقوة أو بالتحالف[3].

3- طبقات المجتمع: لم يكن التمايز الطبقي شديدا مثلما هو الحال في أقطار أخرى، وذلك راجع للنظام القبلي، فرئيس القبيلة هو أحد أفراد القبيلة، ويعتمد عليهم في اكتساب قوته[4].

وكان سكان المغرب ينقسمون إلى فئتين:

- أغلبية تعيش في وحدات قبلية أو قروية، لا تتجاوز تحقيق كفايتها.

- أقلية تحقق مداخيل عالية، إلا أنهم لا يمتلكون وسائل الإنتاج (الأراضي)، مثل كبار التجار، ورؤساء الإقطاع[5].

---

[1] - عبد الجبار صديقي، م س، ص 284-286.

[2] - عطاء الله دهينة: الحياة الاقتصادية لدولة بني زيان (ضمن: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي)، ص 490.

[3] - حسين عاصي: ابن خلدون مؤرخا، ص 69 و72.

[4] - إيف لاكوست: العلامة ابن خلدون، ص 59.

[5] - نفسه، ص 56.

ب) الأوضاع الاجتماعية بمصر: كان التمايز الطبقي في المجتمع المصري واضحا، وعلى رأسه المماليك وهم يشكلون طبقة عسكرية ممتازة تستأثر بالحكم وبشؤون الحرب، وهم غرباء عن البلد، من أصول تركية وجركسية وغيرها، حملوا رقيقا إلى مصر. وكانوا بحكم أصلهم ونشأتهم وأسلوبهم في الحياة وبعدهم عن أهل البلاد متميزين عن غيرهم[1].

وبعدهم طائفة العلماء وأرباب القلم، وكان السلاطين يحترمونهم، وكذلك التجار، ولهم علاقات بالسلاطين، ثم العوام من الحرفيين والباعة[2]. أما الفلاحون –وهم غالبية السكان– فكانوا في حالة سيئة، بسبب ضرائب الدولة، وغارات الأعراب أحيانا[3]. وقد كان هؤلاء منتشرين بأجزاء في الصعيد وغيره، وكانوا كثيري الشغب والفساد[4]. وتميزت المدن المصرية بكثرة السكان، وشدة الزحام، والإدارة الجيدة، إلى جانب شيوع الملاهي، وكثرة الاحتفالات الدينية وغيرها[5].

فيلاحظ تردي الحالة الاجتماعية في القطرين، في المغرب بسبب عدم الاستقرار السياسي وغياب الأمن، نتيجة أعمال النهب وقطع الطريق. وفي مصر نتيجة استئثار الأقلية بخيرات البلاد، بينما عاشت غالبية السكان في ضيق وحرمان.

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية:

أ) اقتصاد بلاد المغرب: تراجع الاقتصاد بعد تفكك الدولة الموحدية، بسبب غياب الأمن، الذي لا يتحقق إلا بوجود سلطة مركزية قوية، فهجر الفلاحون أراضيهم، وضعفت التجارة، وخربت كثير من المدن[6]. ويشير ابن خلدون في عدة مواضع إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، فيقول بأن المغرب «كانت أحواله في دول الموحّدين متّسعة، وجباياته موفورة، وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك، لقصور العمران فيه وتناقصه»[7].

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص 320.

[2] – نفسه، ص 324.

[3] – نفسه، ص 325.

[4] – نفسه، ص 326.

[5] – نفسه، ص 330.

[6] – يُنظر: عبد الجبار صديقي: م س، ص287.

[7] – ابن خلدون: المقدمة، ص 458–459 وأيضا: ص540 و544 و633 (ط/شحادة).

أما أهم أوجه النشاط الاقتصادي فتمثلت فيما يلي:

– الرعي: كانت كثير من القبائل تمارس الرعي، وترتحل طلبا للكلأ لمواشيها. ويبدو أن هذا الأمر كان من أسباب استمرار النظام القبلي[1]، فإن القبائل إذا استقرت في الأمصار والقرى انحلت عصبيتها. وكان البحث عن مجالات للرعي من أسباب الحروب بين القبائل[2].

– الزراعة: كانت كثير من الأراضي تعود ملكيتها للدولة، وللسلطان أن يقطع الأرض لبعض الأشخاص أو القبائل، وكان للإقطاع عدة صيغ. أما الملكيات الخاصة فكانت حول المدن، وكانت صغيرة المساحة، إضافة إلى شيوع التملك الجماعي للأرض من طرف القبائل. وأراضي الأحباس[3]. وكان المشتغلون في الفلاحة هم سكان القرى والبوادي، ولم يستخدم العبيد في خدمة الأرض إلا في أحيان قليلة، لعدم وجود الملكيات الخاصة الكبيرة[4].

– التجارة: ازدهرت التجارة في بلاد المغرب، لأنها قامت بدور الوسيط بين السودان الغربي ودول أوربا، وكان الذهب أهم ما يدخل في هذا التبادل. وقد تقلصت عائدات هذه التجارة بعد ظهور المنافسة لهذا الخط التجاري منذ القرن 8هـ/14م، عقب إحياء الطريق الذي يربط بين المشرق والسودان الغربي، وكذلك وصول الأوربيين إلى موانئ السودان الغربي[5]. وقد كان التجار الذين يتولون المبادلات مع بلاد السودان « أرفه النّاس وأكثرهم أموالا»[6].

ويلاحظ تحول الأهمية التجارية إلى الموانئ على حساب المدن الداخلية، بسبب غياب الأمن[7]، وفي كتب الرحالة أمثال ابن بطوطة وخالد البلوي في تلك الفترة أخبار عن تعرضهم لقطع الطريق، وعن عدم أمن المسالك والطرق البرية[1].

---

[1] – ايف لاكوست: م س، ص 50.

[2] – يُنظر: حسين عاصي: م س، ص 70–71.

[3] – يُنظر: عادل بديرة، الحياة الاقتصادية لبادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط من القرن 4 إلى القرن 7هـ/10–13م، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، 2018، ص 50 وما بعدها.

[4] – إيف لاكوست: م س، ص44.

[5] – ايف لاكوست: م س، ص 159 و161.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ص 497 (ط/شحادة).

[7] – عبد الجبار صديقي: م س، ص 289.

– الصناعة: كانت الصنائع والحرف تتركز في المدن، وكانت كل طائفة من الصناع تتركز في مكان واحد تتسمى به، فمنهم طائفة الدباغين والعطارين والحدادين...الخ[2]. وقد رقيت الصناعة بفضل إسهام مهاجري الأندلس فيها. أما صناعة النسيج والفخار، فكانت منتشرة في الأرياف أيضا. ويعطي ابن خلدون حكمًا عامًا بأن «الصّنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة، إلا ما كان من صناعة الصّوف من نسجه، والجلد في خرزه ودبغه. فإنّهم لمّا استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب السّلع في قطرهم، لما هم عليه من حال البداوة»، لأن الصناعات تكون بالأمصار، وقطر المغرب قليل الأمصار[3].

ب) الاقتصاد المصري:

– الزراعة: كان الاقتصاد المصري يعتمد على الزراعة التي امتدت على ضفاف وادي النيل، وقد ساعد على ازدهارها المنشآت التي أقامها المماليك، مثل القنوات والجسور.

– الصناعة: ازدهرت الصناعة في مصر، وتميزت بالبراعة والإتقان، لتلبية رغبات الأثرياء. وانتشرت صناعة الأسلحة، والسفن الحربية للحاجة إليها في الجهاد، إلى جانب مختلف أنواع الحرف والصناعات[4].

– التجارة: مثلت مصدر دخل مهم للبلاد، حيث تحولت التجارة بين الشرق والغرب إلى مصر، عن طريق البحر الأحمر وموانئ مصر، بعد اضمحلال طرق التجارة الأخرى، بسبب انعدام الأمن الذي نتج عن غزوات المغول[5].

---

[1] – محمد الجوهري ويوسف محسن: ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، ص 38.

[2] – عطاء الله دهينة: م س، ص 490.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 941 ، (ط/وافي).

[4] – يُنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: م س، ص 288 وما بعدها.

[5] – سعيد عبد الفتاح عاشور: م س، ص 299. وإيف لاكوست 31.

رابعا: الأوضاع الثقافية والعلمية:

أ) الوحدة الثقافية: كان العالم الإسلامي يتمتع بوحدة أدبية وثقافية، رغم تفككه السياسي، بفضل وحدة اللغة، وروابط التجارة والحج، واتصال العلماء مشافهة أو مكاتبة، فكانت مؤلفاتهم تنتقل بسرعة من قطر إلى قطر، وشهرتهم تنتشر في جميع العالم الإسلامي. فمثلا نجد أن ابن خلدون يخطب ويدرس في غرناطة وبجاية وفاس وتونس والقاهرة، ويجتمع بعلماء دمشق[1].

ب) تشجيع السلاطين للحركة العلمية: ساهم الحكام –رغم كثرة الفتن والصراعات على السلطة– في تنشيط الحركة العلمية، وكان العلماء موضع عناية وتوقير من قبل الحكام.

فقد اعتنى سلاطين المغرب ببناء المدارس، مثل مدرسة ابني الإمام في تلمسان. وكانوا يستعينون بمشاهير أهل العلم والأدب في وظائف الدولة، كابن الخطيب وابن زمرك. وحرصوا على أن يضموا إلى حاشيتهم العلماء. ذكر ابن خلدون أن أبا الحسن المريني «كان يستكثر من أهل العلم في دولته، ويجري لهم الأرزاق، ويعمر بهم مجلسه»[2]. بل كانوا يحرصون على أن يرافقوهم في تنقلاتهم، فحين سار السلطان المذكور إلى تونس اصطحب معه عددا من العلماء[3].

أما في مصر فقد أولى المماليك عناية لبناء المدارس وتخصيص الأوقاف لها، إضافة إلى المدارس التي أسست قبل ذلك، وكانت بوادر هذه النهضة قد بدأت منذ عهد نور الدين ثم الأيوبيين، وآتت أكلها في عهد المماليك، فأصبحت دمشق وبعدها القاهرة أعظم حواضر العلم[4].

ج) عصر الموسوعات والمتون: امتاز هذا العصر بنشاط علمي غني، إلا أنه كان خاليا من الإبداع إلا قليلا، وكان الاتجاه الغالب عليه تجميع التراث الإسلامي، وترتيب

---

[1] – ساطع الحصري: م س، ص 68.

[2] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 58.

[3] – فاروق النبهان: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص 23.

[4] – يُنظر: شمس الدين الذهبي: الأمصار ذوات الآثار، ص 26 و30. وابن خلدون: المقدمة، ص 546 (ط/شحادة).

علومه وتسهيلها للدارسين، من خلال تأليف الموسوعات، والمتون، والكتب الجامعة التي أصبحت عمدة الطلاب لعلوم الشرع واللغة. فمن الموسوعات (نهاية الأرب) للنويري (ت733هـ) و(مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري (ت749هـ)، وموسوعات متخصصة، مثل (تاريخ الإسلام) للذهبي (ت748هـ)، و(التهذيب) و(تحفة الاشراف) للمزي (ت742هـ)، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي (ت817هـ).

د) شيوع التصوف: يمثل القرنان الثامن والتاسع الهجريين مرحلة التغلغل الواسع للتصوف في البنى الاجتماعية والحضارية للمغرب، فانتشر في المدن بين طبقات المجتمع، من الحكام إلى العامة والعبيد، وانضم إليه الفقهاء والأشراف، وشاع بين قبائل البادية البربرية والهلالية. وبهذا يكون التصوف أكبر ظاهرة دينية واجتماعية وسياسية انتشرت خلال هذه الفترة، وتحكمت في تفكير الإنسان وسلوكه[1]. وكذلك في مصر انتشر التصوف واتسع نطاقه[2]. وكانت الحال نفسها في بقية البلاد الإسلامية، نتيجة الوحدة الثقافية بينها، وسهولة تنقل الأفكار والرجال. وانتشرت لذلك الربط والزوايا والخانقاهات في مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

هـ) الحالة العلمية بالمغرب على الخصوص: عرفت هذه الفترة بروز عدد من كبار العلماء أمثال ابني الإمام وعائلة ابن مرزوق، وعائلة المقري، وابن قنفد القسنطيني، وابن عبد السلام، وابن عرفة، وأبي علي المشدالي. وكانت العناية متجهة في المقام الأول إلى دراسة الفقه المالكي، ولم تكن الدراسات الحديثية منتشرة، كما هو الشأن في المشرق[3]، بينما قل الاهتمام بالعلوم العقلية –وهذا شأن المغرب من قديم–[4].

---

[1] – الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429–1430هـ/ 2008–2009م، ص 9–10 (ملخص الأطروحة).

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر المماليك، ص 179.

[3] – شمس الدين الذهبي: م س، ص 55–56.

[4] – يُنظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 633 (ط/شحادة)

وكان من أبرز ما ميز الأدب المغربي والأندلسي هو أدب الرحلات، وكان كثير منها لأجل الحج وتعرف بالرحلات الحجازية، وكذلك الرحلات العلمية، وأحيانا رحلات لمجرد السياحة. ومن أشهر الرحالة ابن بطوطة وابن رشيد وخالد البلوي[1].

و) تقييم ابن خلدون للحركة العلمية في عصره: وصف ابن خلدون الحالة العلمية في العالم الإسلامي آنذاك، فهو يرثي لحال العلم بالمغرب، الذي تأثر بالاضطرابات التي تسوده، فيقول: «وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتّعليم»[2]، ويقول: «بأنّ سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدّول فيه»، رغم وجود عدد من العلماء الأفذاذ كابن عبد السلام في تونس وأبي علي المشدالي ببجاية، وابن (كذا) الإمام بتلمسان[3]. وكذلك أهل الأندلس قد «ذهب رسم التّعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم»، ولم يبق بها من العلوم إلا علم العربية[4].

بينما يشيد بالحركة العلمية في المشرق، فيذكر أنه «لم ينقطع سند التّعليم فيه بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتّصال العمران الموفور واتّصال السّند فيه»[5]. ويذكر سبب ذلك، وهو «كثرة عمرانه والحضارة ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف الّتي اتّسعت بها أرزاقهم»[6]. لأن المماليك قد «استكثروا من بناء المدارس والزّوايا والرّبط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلّة... وكثر طالب العلم ومعلّمه بكثرة جرايتهم»[7].
وكذلك يخبر عن اضمحلال العلوم العقلية بالمغرب، إلّا قليلا من رسومه، عند أفراد معدودين. أما أهل المشرق فـ«بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النّهر»[8].

---

[1] – محمد الجوهري ويوسف محسن: م س، ص 30.
[2] – ابن خلدون: المقدمة، ص551 (ط/شحادة)
[3] – نفسه، ص544-545.
[4] – نفسه، ص546.
[5] – نفسه، ص546.
[6] – نفسه، ص551.
[7] – نفسه، ص549.
[8] – نفسه، ص633.

المبحث الثاني: حياة ابن خلدون

قبل التطرق إلى دراسة الفكر التاريخي لابن خلدون، نعطي لمحة موجزة عن حياة ابن خلدون، لنقف من خلالها على العوامل التي ساهمت في تكوين أفكاره واتجاهاته. ومعظم ما يرد في هذا المبحث مأخوذ مما خطه ابن خلدون بنفسه في ترجمته الذاتية الموسعة.

ويمكن أن نميز بين ثلاث مراحل بارزة في حياة ابن خلدون:

أولا: مرحلة النشأة والتحصيل العلمي:

أ) اسمه ونسبه:

هو ولي الدين[1] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي المغربي، من عرب اليمن، من ذرية الصحابي وائل بن حجر[(2)]، ويرجع نسبه الأقرب إلى بني خلدون، وجدهم هو خالد المعروف بخلدون، وهو الذي دخل من المشرق إلى الأندلس. وهذه الأسرة كانت من الأسر المشهورة بالأندلس، يقول ابن حيان (ت469هـ): «وبيت بني خَلدون إلى الآن في إِشْبِيلِيةَ نهاية في النَّباهة، ولم تزل أعلامُه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية»[(3)].

وتكلم ابن حزم(ت456هـ) عن بني خلدون الإشبيليين، ومنهم من قام بالثورة بإشبيلية[(4)]، ومن الشخصيات العلمية من هذه الأسرة الحكيم: أبو مسلم عمر بن محمد بن

---

[1] – لقب بعد رحيله إلى المشرق عند توليه القضاء، قال المقريزي: «استدعى شَيخنَا أَبُو زيد عبد الرَّحْمَن بن خلدون إِلَى قلعة الْجَبَل وَعرض عَلَيْهِ السُّلْطَان ولَايَة قَضَاء الْمَالِكِيَّة وخلع عَلَيْهِ ولقب ولي الدّين» السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5، ص 166.

[(2)] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 27.

[(3)] – نفسه، ص 30.

[(4)] – قادا الثورة حين انتشرت الاضطرابات في عهد الأمير عبد الله بن محمد الأموي (275–300هـ)، وكان بنو خلدون إحدى ثلاث أسر أرادت الاستقلال بإشبيلية، وكان رئيسهم كريب وخالد ابنا عثمان، وانتهى الأمر باغتيالهما. يُنظر: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 505. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص460.

بقي الإشبيلي (ت449هـ)، وكَانَ متصرفا فِي عُلُوم الفلسفة مَشْهُورا بِعلم الهندسة والنجوم والطب[1].

ولما استولى بنو عباد على إشبيلية استعانوا ببني خلدون في مناصب الدولة، وكان لهم اتصال بالحفصيين ولاة إشبيلية في العهد الموحدي[2].

ولما اشتدت حملات النصارى على بلاد المسلمين، اضطر بنو خلدون إلى العبور إلى العدوة، في أواسط القرن السابع، وقصدوا الحفصيين للعلاقة السابقة بينهم، فاستعملهم الحفصيون في مناصب الدولة، إلى أن اعتزل جده محمد بن أبي بكر (ت 737هـ) من الحجابة، ولم يشتغل ابنه أبو بكر محمد– وهو والد المؤلف– بالسياسة، واشتغل بالعلم والأدب، وكان مقدما في علوم العربية[3]، توفي في الطاعون الجارف سنة 749هـ.

وذكر ابن خلدون من إخوته محمدا، وكان أكبر منه، وهو من المشتغلين بالعلم، وأخا أصغر منه[4]، مشهور، وهو يحيى ابن خلدون[5] كاتب الزيانيين، وصاحب كتاب: بغية الرواد.

ب) مولده:

أخبر عن نفسه أنه ولد بتونس، في غرة رمضان سنة 732هـ[6].

---

[1] – ابن حزم الظاهري: م س، ص460. وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 485.

[2] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 32 وما بعدها

[2] – نفسه، ص 35–36

[3] – نفسه، ص66.

[5] – **يحيى ابن خلدون، أبو زكريا (733–780هـ):** مؤرخ من الكتاب. مولده في تونس. سكن فاس. واستكتبه السلطان ابن زيان. قتل بتلمسان. له " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ". (الأعلام للزركلي: ج8، ص 166). أمر بقتله أبو تاشفين بن أبي حمو موسى (الثاني)، في عهد أبيه السلطان أبي حمو. (عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص171). وتُنظر تفاصيل اغتياله كما رواها أخوه في العبر، في فصل عنونه بـ(وثبة أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه). (العبر، ج7، ص 187).

[6] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 36. وهو يوافق يوم 27 ماي 1332م.

ج) تعليمه ومشايخه:

كان ابن خلدون مجبولا على حب العلم والاستزادة من الثقافة، فيصف نفسه قائلا: «لم أزَلْ منذ نشَأت، وناهزت مُكبًّا على تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل، متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته»[1]. وكانت البيئة التي نشأ فيها ابن خلدون معينة له على تحصيل بغيته من العلم، فقد نشأ في أسرة علمية، تستوطن مدينة تونس حاضرة الحفصيين، التي كانت تزخر بالعلماء، مما مكنه أن يستكمل تحصيله العلمي دون أن يرحل إلى غيرها من البلاد.

وقد فصّل ابن خلدون في ذكر مشايخه وأبرزِ العلوم التي أخذها عنهم، فمنهم:

– أبو عبد الله محمد بن سعد بن بُرَّال الأنصاري: قرأ عليه القرآن الكريم، ثم قرأه عليه بالقراءات السبع المشهورة، وقرأ عليه كتبا جمة في الفقه ونحوه.

– أبو بكر محمد بن محمد ابن خلدون– وهو والده–: تعلم عليه صناعة العربية.

– أبو عبد الله الحصايري: وكان إماما في النحو.

– أبو عبد الله محمد بن بحر: إمام العربية والأدب بتونس؛ لازم مجلسه، وأشار عليه بحفظ الشعر، فحفظ عددا من الدوواين.

– شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الوادياشي: إمام المحدثين بتونس؛ لازمه، وسمع عليه كتب الحديث.

– أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجَيَّاني: درس عليه الفقه.

– أبو القاسم محمد القصير: تفقه عليه، قرأ عليه التَّهذيب للبرادعي؛ مختصر المدوَّنة.

– أبو عبد الله محمد بن عبد السلام: الإمام ، كان يحضر مجالسه رفقه أخيه محمد.

إلى غير هؤلاء من مشيخة تونس، وكلهم أجازه؛ ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف، سنة 749هـ، وقد كانت سنّه يومها بين 17 و18 سنة، وهي أنسب مراحل الطلب.

---

[1] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص64.

وعندما دخل أبو الحسن المريني إلى تونس سنة 748هـ، كان برفقته عدد من كبار العلماء، استفاد ابن خلدون بمشافهتهم والأخذ عنهم، ومنهم من يعد من كبار شيوخه، فمنهم:

– أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي: إمام المحدثين والنُّحاة بالمغرب، لازمه وأخذ عليه كتبا كثيرة في الحديث.

– أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني: شيخ العلوم العقلية، وهو من أكثر شيوخه تأثيرا فيه، لزمه، وأخذ عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية والتعليمية[1]؛ وكان يشهد لابن خلدون بالتبريز في ذلك[2]، وقد امتدت فترة تتلمذه عليه إلى ثلاث سنوات[3].

وظل طول حياته حريصا على الاستفادة ممن يلقاهم من العلماء.

وحين نستعرض المسار الدراسي لابن خلدون نلاحظ سمة الموسوعية ظاهرة بجلاء[4]، حيث درس أكثر أنواع العلوم المعروفة آنذاك، سواء منها الشرعية واللغوية والأدبية وعلوم الحكمة والمنطق، فكان ابن خلدون فقيها مالكيا، وأديبا ناقدا، ومفكرا ألمعيا.

ثانيا: مناصبه ورحلاته بالمغرب:

يعد ابن خلدون من كبار العلماء والمفكرين، كما أنه من الشخصيات التي كان لها تأثير وملابسة لأحداث التاريخ، فقد دخل معترك الحياة العامة في أول شبابه، وتقلب بين المناصب والوظائف، وضرب في البلاد مغربا ومشرقا. وانقسمت حياته بالمغرب على فترتين:

أ) تولي الوظائف الديوانية والسياسية: بدأ وظائفه كاتبا للعلامة عند السلطان الحفصي سنة 753هـ، وكان يومها ابن إحدى وعشرين سنة. ثم ارتحل إلى السلطان المريني

---

[1] – المقصود بالعلوم التعليمية أو التعاليم: الحساب والهندسة ونحوها. يُنظر: ابن خلدون: المقدمة ص 630 (ط/شحادة).

[2] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، 36–41

[3] – نفسه، ص65.

[4] – وهو ما تدل عليه عبارة النباهي حين وصفه: «بالفقيه المتفنن»، وقد كانت له معه صحبة. يُنظر: أبو الحسن النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص 162.

بالمغرب سنة 755هـ، وهناك اشتغل في عدة وظائف واشترك في مؤمرات للحكم، وسُجن سنة 758هـ حتى آخر سنة 759هـ[1].

ثم ساءت العلاقة بينه وبين السلطان فارتحل إلى الأندلس سنة 764هـ، وأقام في ضيافة أمير غرناطة ابن الأحمر[2]، ووزيره لسان الدين ابن الخطيب[3]، وفي أثناء إقامته هناك قاد سفارة عن ابن الأحمر إلى ملك قشتالة[4] سنة 765هـ.

وفي العام الموالي استدعاه أبو عبد الله الحفصي أمير بجاية، فولاه الحجابة[5]، واشتغل أثناء ذلك بالتدريس في جامع القصبة في بجاية[6]، وفي إحدى المرات ولاه الأمير قيادة جيش لإخضاع القبائل الممتنعة عن أداء المغارم، والمتحصنة بجبال بجاية، فنجح في مهمته[7].

وعلى إثر مقتل أمير بجاية سنة 767هـ، ارتحل إلى بسكرة، ونزل على شيخها أحمد بن يوسف بن مزني، وهناك أتاه كتاب أبي حمو الزياني بتوليته منصب الحجابة، فبعث أخاه يحيى نائبا عنه[8]. وحين سار أبو زيد إلى تلمسان، صادف ذلك هجوم عبد العزيز المريني

---

[5] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، 72–73

[2] – **ابن الأحمر، الغَني باللَّه محمد بن يوسف أبي الحجاج بن إسماعيل:** ثامن ملوك دولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس. ولي سنة 755 هـ وجدّد رسوم الوزارة لوزير أبيه ابن الخطيب، ثار ضده أخوه إسماعيل فعزله وسجن وزيره، وفر هو إلى المرينيين، وذلك سنة 761هـ ثم استعاد ملكه سنة 763هـ، وردَّ لسان الدين إلى وزارته، ثم انقلب عليه ونكبه. واتسعت الدولة في أيامه حتى أصبح له ملك المغرب كله. وكان حازما داهية، ت 793هـ. (الاعلام للزركلي، ج1، ص 154).

[3] – كان بين الرجلين صداقة قوية، وعاطفة مودة، نلمسها في الرسائل المتبادلة بينهما، والتي أورد بعضها ابن الخطيب في الإحاطة، وابن خلدون في التعريف، وكان كلا منهما يثني على صاحبه، ويشيد بمكانته، وظل ابن خلدون حين رحل إلى المشرق – كما يقول إبراهيم الباعوني – «يكثر من ذكر لسان الدين ابن الخطيب، ويورد من نظمه ونثره ما يشنف به الأسماع، وينعقد على استحسانه الإجماع، وتتقاصر عن إدراكه الأطماع» (أبو العباس المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج6، ص 192).

[3] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص82–85، وهو بتره (بدرو القاسي)، وكان مقره بإشبيلية، فعرض على ابن خلدون أن يقيم عنده على أن يرد عليه أملاك أسلافه بإشبيلية، فرفض هذا العرض.

[4] – نفسه، ص91 و95

[5] – نفسه، ص95

[6] – نفسه، ص96

[7] – نفسه، ص98

على تلمسان، فقبض عليه، ثم أطلقه. وبعد مدة طلب منه حشد قبائل رياح ضد أبي حمو، فامتثل أمره، وذلك سنة 772هـ[1]. فأقام ببسكرة لمدة عامين، ورجع إلى فاس، فأقام بها عامين آخرين عاكفا على قراءة العلم وتدريسه[2].

ب) اعتزال السياسة والتفرغ للتأليف: تكدرت الأجواء بين ابن خلدون وسلاطين المغرب، فاجتاز إلى الأندلس سنة 776هـ، رغبة في اعتزال السياسة والتفرغ للعلم، ولم يكن ابن الخطيب هذه المرة في استقباله[3].

وعاد إلى المغرب الأوسط، بعد رجوع أبي حمو لحكمه، فعفا عنه، ثم كلفه بمهمة سياسية، فتظاهر بالإجابة، وعدل إلى قبيلة أولاد عريف، وبعث بعذره إلى السلطان، وأنزلوه بأهله بقلعة بني سلامة[4]، فمكث بها أربع سنين، كتب خلالها مقدمته الشهيرة[5]، وجزءا من تاريخه. وكان في حاجة إلى تصحيح ما كتب بالرجوع إلى الكتب والدواوين، ولم تكن العلاقة جيدة بينه وبين ملوك فاس وتلمسان، فخاطب سلطان تونس[6] بالقدوم إليه، وارتحل إليه سنة 780هـ[7]، وهناك حثه السلطان على إتمام تاريخه، وفرّغه لذلك، فأنهاه في فاتح سنة 784هـ، وأهدى نسخة منه إلى الخزانة السلطانية[8].

---

[1] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 119– 122

[2] – نفسه، ص 179–180

[3] – قبل أن يجتاز ابن خلدون، كان ابن الخطيب قد حبس وبعث لابن خلدون يستصرخه فلم تنجح مساعيه لاستنقاذه، وقتل في محبسه سنة 776، يُنظر: ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 187.

[4] – قلعة بني سلامة: تقع على بعد ستة كيلومترات من مدينة فرندة بالجزائر، كانت لبني يدللتن من بني توجين، فاتخذها زعيمهم سلامة [ين علي] بن نصر بن سلطان مقرا، وبنى بها القلعة المنسوبة إليه. ثم أقطعها السلطان المريني لونزمار بن عريف من شيوخ سويد، وبنى بها ابنه أبو بكر ابن عريف قصرا، وهو الذي نزله ابن خلدون. يُنظر: ناصر الدين سعيدوني: أين كتب ابن خلدون مقدمته؟، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 3، ديسمبر 2008م، ص ص 7–15، ص 6–7. وتاريخ ابن خلدون، ج6، ص 63 – ج 7، ص 216.

[5] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، 187–188

[6] – **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي (ت796هـ):** من ملوك الحفصيين، يلقب أبا السباع، كان أميرا على قسنطينة، وثار على صاحب تونس فخلعه وتولى السلطنة سنة 772هـ وقمع الفتن، واستعاد البلاد من المتغلبين، وقويت أساطيله. فأغزاها الشواطئ المجاورة. كان عادلا حازما شجاعا، من مفاخر الحفصيين. (الأعلام للزركلي، ج1، ص 225).

[7] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 188

[8] – نفسه، ص 189

مكث ابن خلدون بتونس أربع سنين، منشغلا بالتدريس، وتولى خلالها بعض المهمات السياسية، ويبدو أنه قد برم بهذه الوظائف، فقرر السفر إلى المشرق لأداء فرض الحج[1]، فكان ذلك آخر عهده بالمغرب، فلم يعد إليه بعدها.

ثالثا: هجرته واستقراره بمصر:

سافر إلى مصر سنة 784هـ، ولم يقدر له الحج عامئذ، فانتقل إلى القاهرة، ويبدو أنه كان معروفا بتلك الديار. ولما دخلها، انثال عليه طلبة العلم، ودرّس بالجامع الأزهر. وصحب الأمير ألطنبغا الجوباني، فأوصله إلى الملك الظاهر برقوق[2]، فأكرمه وأجرى عليه. وكان ينتظر لحوق أهله به من تونس، غير أن الأمير الحفصي صدهم عن السفر، رغبة في رجوعه، فطلب من السلطان المملوكي أن يشفع إليه في تخلية سبيلهم، ففعل.

ثم ولاه السلطان تدريس المدرسة القمحية، ثم عينه قاضي قضاة المالكية[3] في مصر سنة 786هـ، «فباشر بحرمة وافرة، وعظمة زائدة، وحمدت سيرته، ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان فأخذوا في التكلم في أمره ولا زالوا بالسلطان حتى عزله.. سنة 787هـ»[4]، ووافق ذلك رغبته، فقد ساءت علاقته برجال الدولة، وكثر الشغب عليه، ثم أصيب في أهله، وكانوا قد ركبوا البحر من تونس فغرقت بهم السفينة، فزهد في المنصب ورغب في الاعتزال.

وظل بعد عزله مشتغلا بالتدريس والتأليف، مدة أربعة عشر سنة، وقام بتدريس الحديث والفقه المالكي ببعض مدارس القاهرة الكبرى، وعين لإدارة خانقاه[5] بيبرس. وأعيد إلى القضاء سنة 801هـ[6]، وعزل سنة 803هـ.

---

(1) – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 199

2 – ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج7، ص 208.

(3) – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 204.

(4) – ابن تغري بردي: م س، ج7، ص 208.

5 – الخانَقاه: بُقْعَةٌ يَسْكُنُها أَهْلُ الصَّلاةِ والخَيْرِ، والصُّوفِيَّةُ، والنونُ مَفْتُوحَة، مُعَرَّب ... قالَ المَقْرِيزِيُّ: وَقد حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَام فِي حُدودِ الأَرْبَعِمائة، وجُعِلَتْ لمُتَخَلِّيَ الصوفيَّة فِيها لعِبادَةِ اللهِ تَعالى. تاج العروس، ج25، ص 270.

(6) – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 271.

وفي هذه السنة غزا تيمورلنك الشام، فخرج السلطان فرج للقائه، وكان برفقته ابن خلدون، فدخلوا دمشق، غير أن السلطان رجع حين بلغته أنباء عن الثورة ضده في مصر، وبقي ابن خلدون محاصرا مع أهل دمشق، ثم خرج ابن خلدون – وقد بلغه أن تيمور لنك سأل عنه– للقاء هذا الأخير، ونقل ابن خلدون ما جرى له في أثناء لقائه به، وذكر أنه طلب منه الأمان لأهل دمشق[1]، وأقام في ضيافته أزيد من شهر، يتردد عليه صباحا ومساء، ثم أذن له بالرجوع إلى مصر، ويظهر من خلال هذا اللقاء حنكة ابن خلدون ودهاءه[2]، فمن ذلك أنه كان يعلم أن تيمورلنك يعتمد على أقوال المنجمين، فاستعمل هذا المدخل للتاثير عليه[3]. قال إبراهيم الباعوني– وكان ممن صحبه إلى الشام يومذاك– : وأكرمه تمرلنك غاية الإكرام، وأعاده إلى الديار المصرية[4].

ثم تولى القضاء مرارا منذ سنة 803هـ، حتى كان آخرها من رمضان سنة 808هـ، فباشره ثمانية أيام ثم أتاه أجله[5].

وفاته:

توفي ابن خلدون بالقاهرة في الخامس والعشرين من رمضان سنة 808هـ[6]. ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر، حسبما نقله السخاوي[7].

---

[1] – ذكر في موضع سابق أن الذي طلب الأمان هو القاضي ابن مفلح الحنبلي وشيخ الفقراء، بتفويض من فقهاء دمشق، فيكون ابن خلدون قد أعاد التأكيد على طلب الأمان، لكن كل ذلك لم يكن له فائدة، فقد ارتكب المغول مجزرة بعد دخولهم دمشق، وعاثوا فسادا بالبلد.

[2] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 297. ونقل ابن عربشاه أخبار هذا اللقاء، وقال متحدثا عن ابن خلدون «قيل إنه لم يخدع تيمور ويدهيه، ويخلبه قولاً وفعلاً ويطغيه سوى إيدكو المار ذكره، أقول وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي» (ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص 125 (الشاملة).

[3] – محمد الجوهري ويوسف محسن: م س، ص 18.

[4] – أبو العباس المقري: م س، ج6 ، ص 192.

[5] – ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص 340.

[6] – نفسه، ج2، ص 323. يوافق 16 مارس 1406م.

[7] – محمد عنان: ابن خلدون تراثه وحياته، ص113.

رابعا: تلاميذه ومؤلفاته:

أ) تلاميذه:

درّس ابن خلدون بضع فترات في فاس وبجاية وتونس بالمغرب، ثم قضى معظم أيامه بالتدريس في مصر. وقد أخذ عنه الكثيرون، ولكن أبرز تلاميذه هو تقي الدين المقريزي[1]، الذي كان يجل شيخه ويعجب به، ويصفه بـ« شيخنا العالم العلامة الأستاذ قاضي القضاة»، ويكثر الثناء عليه وعلى مقدمته[2]، ويبدو أنه تأثر بأفكار ابن خلدون في بعض ما ألف من كتب[3].

وممن أخذ عنه أيضا الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وقد أخذ عنه فوائد وطلب منه الإجازة. كما ترجم السخاوي في الضوء اللامع لعدد من أهل العلم ممن أجازهم ابن خلدون أثناء مقامه بمصر.

ب) مؤلفاته:

اشتهر ابن خلدون بكتابه (العبر). لكن ابن الخطيب يذكر له مؤلفات غيره: شرح البردة، ملخصات لكتب ابن رشد، تأليف في المنطق، كتاب في الحساب، شرح رجز ابن الخطيب في الأصول، وتلخيص محصل الفخر الرازي[4]. وقد كتب ابن الخطيب ترجمة ابن خلدون قبل أن يكتب تاريخ العبر، فلم يذكره. وهذه التآليف لم تكن ذائعة فلم تذكرها التراجم المصرية، ولا كانت ذات أهمية عند ابن خلدون فلم يذكرها في التعريف. والذي وصلنا منها أثران:

---

[1] – **تقي الدين المقريزي (766–845هـ)** أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة ببعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق. من تآليفه كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ويعرف بخطط المقريزي، و(السلوك في معرفة دول الملوك)، وزادت تآليفه على مائتي مجلد. (الأعلام للزركلي، ج1، ص 177).

[2] – محمد عنان: م س، ص 105.

[3] – يُنظر: المرجع نفسه، ص 108 ...110.

[4] – لسان الدين ابن الخطيب: م س، ج3، ص 386.

– لباب المحصل في الأصول: تلخيص لكتاب الفخر الرازي (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين)، قال إنه درسه على الآبلي فلخصه وانتهى منه سنة 752هـ، أي في سن العشرين.

– شفاء السائل لتهذيب المسائل: وهو كتاب في التصوف، لم يذكره أي من مترجميه، ولكن وجد مخطوط، فيه أنه من تأليف ابن خلدون[1].

– واشتغل ابن خلدون بقرض الشعر في فترة من حياته بالمغرب، وكان أكثر ذلك في مدح الأمراء، وأورد طائفة من شعره في (التعريف)، كما نجد بعضه في (الإحاطة) لابن الخطيب، وفي (نثير الجمان) لأبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر[2]. وقد حكم ابن خلدون على شعره بالتوسط «بين الإجادة والقصور».

[1] – يُنظر: محمد عنان: م س، 163 ...171.

[2] – ينظر: لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 387 وما بعدها. وأبو الوليد ابن الأحمر: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، ص 299 وما بعدها.

الفصل الثاني:

الجانب التنظيري التاريخي عند ابن خلدون

المبحث الأول: منهج نقد الأخبار عند ابن خلدون

المبحث الثاني: علم التاريخ وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون

المبحث الأول: منهج نقد الأخبار عند ابن خلدون

كانت الكتابة التاريخية عند المسلمين، قد بلغت في عهد ابن خلدون مبلغا كبيرا من حيث الكثرة والتنوع[1]. ورغم هذا الثراء الكمي، إلا أن التاريخ كان يعاني من جملة من النقائص، كما لم توجد حينها كتابات حول منهجية تدوين التاريخ.

أولا: مآخذ ابن خلدون على المؤرخين:

وجه ابن خلدون نقدا عنيفا للمؤرخين الذين سبقوه، وبين أوجه القصور في التأليف التاريخي، وكذلك أراد أن يؤسس لمنهج نقدي في التاريخ لتلافي ذلك النقص، ومثل هذه الكتابة التنظيرية لم تكن مألوفة قبل ابن خلدون. وقد توجه نقده إلى جهتين: الأولى حول تمحيص الروايات التاريخية، والثاني حول طرق التأليف.

أ) انتقادات حول تمحيص الروايات التاريخية:

إن التاريخ يقوم على الروايات التي يدونها المؤرخ أو ينقلها عن غيره، وهو في كل أحواله لا ينفك عن طبيعة الإنسان العقلية والنفسية، وعن أهوائه وأغراضه، «فالكذب متطرّق للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه»[2]، فقد تؤثر على الناقل العوامل المذكورة، فيكون في روايته مجانبا للحقيقة. وإن ابن خلدون في محاولته لوضع معيار لتنقية التاريخ من الأخطاء، قام بتقصي الأسباب التي تكمن وراء هذه الأخطاء، فحصرها في عدد من الأمور، نوردها فيما يلي[3]:

1- «التّشيّعات للآراء والمذاهب»، لأن النفس بطبيعتها تميل إلى قبول الخبر إذا كان يوافق معتقداتها وآراءها، وتسارع إلى رده إذا كان يخالف ذلك، دون أن تعطيه حقه من التمحيص والنقد، وإذا كان الخبر لا يتعلق بما تعتقده أو تميل عنه، فإنّها تبحثه بحيادية، وتردد النظر فيه للوقوف على صدقه من كذبه. فالعاطفة والهوى تكون حجابا على العقل

---

[1] – عرفت الحضارة الإسلامية ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرخ، وما يزيد عن اثني عشر ألف مؤلف في التاريخ. (شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ص7 (المقدمة).

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 328 (ط/وافي).

[3] – يُنظر هذه الأسباب في: المصدر السابق ص 328-329

يمنعه من القيام بعملية النقد مثلما ينبغي. فيقبل الإنسان الخبر الموافق لمذهبه دون تثبت، ويقع في الكذب عند النقل.

2- من أسباب الكذب في الأخبار «الثقة بالناقلين»، أي أن المؤرخ يعتقد أن ناقل الخبر ثقة، في حين أنه ليس كذلك، فينقل الكذب اغترارا بهذا الراوي.

3- «الذهول عن المقاصد»، فقد يكون الناقل صادقا، قصده نقل الخبر الذي رآه أو سمعه على حقيقته، إلا أنه لا يفهم القصد مما رأى أو سمع، فيفسره بتفسيرات تخالف الواقع.

4- «توهّم الصّدق وهو كثير وإنّما يجيء في الأكثر من جهة الثّقة بالنّاقلين»، هذا السبب غامض، والفرق بينه وبين السبب الثاني غير واضح أبدا، فقد ردهما إلى الثقة بالناقلين[1]. ولعله يفسر بما جاء في موضع آخر من المقدمة، أين سرد ابن خلدون معظم هذه الأسباب بعبارات أخرى[2]، فنجد أن (توهم الصدق) يقابل لفظ (الأوهام)، فالمعنى أن الخطأ يقع من المؤرخ بسبب وقوعه في الوهم، أو بسبب نقله لوهم الراوي الثقة. ومعنى الوهم رواية الناقل للخطأ، معتقدا صحته، بسبب تداخل المعلومات، وعدم ضبطها، لا لتعمّد الكذب.

5- «الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التّلبيس والتّصنّع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتّصنّع على غير الحقّ في نفسه»، يشير إلى ما يقوم به بعض أصحاب الدعوات الكاذبة، من اتخاذ وسائل للتلبيس على الناس، لكسب تأييدهم، فينخدع بها من يعاينها، فإذا انطلت عليه هذه الأمور، ونقلها كما شاهد كان ناقلا للكذب[3].

6- التقرّب «لأصحاب التّجلّة والمراتب بالثّناء والمدح وتحسين الأحوال»، وذلك أن كثيرا ممن يكتب التاريخ يكون قصده التقرب والتملق إلى السلطان أو صاحب النفوذ، فيبالغ في ذكر محاسنه، وينسب إليه من الفضل ما هو بريء منه، ويصور الأحوال بخلاف ما هي عليه.

---

[1] – ساطع الحصري: م س، ص244.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص729 (ط/وافي).

[3] – ساطع الحصري: م س، ص245.

7- «الجهل بطبائع الأحوال في العمران»، وهو ما يؤدي إلى تصديق بعض الأخبار التي يوقف على عدم ثبوتها بمجرد النظر إليها، لمخالفتها لقوانين وسنن الأحداث والأحوال، بل ومناقضتها للمعقول والممكن.

وهذا السبب من أهم الأمور التي دفعت بابن خلدون لوضع علم العمران، وكتابة ما عرف فيما بعد بالمقدمة[1]، لبيان هذه القوانين والسنن التي ينبغي أَخْذها بعين الاعتبار عند نقد الأخبار.

ويجدر التنبيه إلى أن ابن خلدون يقصد بالكذب كل ما هو مخالف للواقع، فأكثر هذه الأسباب لا يكون الناقل فيها متعمدا للإخبار بغير الصدق[2].

وعليه فيمكن أن نميز بين نوعين من أسباب تطرق الخطأ إلى الأخبار:

- أخطاء قصدية: وتشمل الأخبارَ الكاذبة التي تختلق لترويج مذهب، أو الحصول على منفعة، أو غيرها من الأغراض، والوقائعَ المصطنعة التي يراد منها التلبيس على الناس.

- أخطاء غير قصدية: وهي الأخبار المخالفة للواقع التي تخلو عن قصد الكذب، ويكون سببها عدم الفهم، أو عدم ضبط المسموع والمشاهد.

- بالإضافة إلى أخطاء يختلط فيها النوعان السابقان: كنقل الراوي الثقة عن راو ملفق، لثقته به، أو لعدم تمحيصه للأخبار كما ينبغي، لأنها توافق الآراء التي يتشيع لها، أو لعدم معرفته بطبائع العمران[3].

ولا شك أن بعض هذه المحاذير كان قد نبه إليها المؤرخون المسلمون وغيرهم، فكان أول ما يشترط في صفات المؤرخ: الصدق في الرواية، والعدل في الحكم.

---

[1] - ساطع الحصري: م س، ص 246.

[2] - نفسه، ص 244

[3] - نفسه، ص 248-249.

ب) انتقادات حول طرق التأليف ومقاصده:

أثنى ابن خلدون على المؤرخين المتقدمين كالطبري والمسعودي –رغم الانتقادات التي وجهها إليهم–. إلا أنه كان حادا في نقده للمؤرخين المتأخرين، وقد أخذ عليهم الأمور التالية:

1 – غلبة التقليد على المتأخرين، ووصفهم لأجل ذلك بأوصاف شديدة، كقوله: ««ثمّ لم يأت من بعد هؤلاء إلّا مقلّد، وبليد الطّبع والعقل ومتبلد»[1]. فتابعوا المتقدمين على طريقتهم في التأليف، دون التفطن إلى مقاصدهم وأغراضهم في ذلك، والتي أملتها ظروف الفترة التي دونوا فيها تواريخهم، ولم تعد مناسبة حين تبدلت الأحوال. ومثّل لذلك بما تتابع عليه المؤرخون من ذكر أمور جانبية تتعلق بالخلفاء، فقدت أهميتها بعد انقضاء دول الخلافة[2].

2– الذهول عن تبدل الأحوال : وهو أمر خفي، لأن هذا التغير يكون بطيئا خلال أزمنة متطاولة. ووجه الخطأ أن المؤرخ يناقش الخبر منفصلا عن سياقه التاريخي الذي جرى فيه، ويحاكمه وفق الأوضاع المعاصرة، فيقع في الغلط، فينبه ابن خلدون إلى أن قياس الماضي على الحاضر لا يصلح في كل حالة، لأن «أحوال العالم والأمم... لا تدوم على وتيرة واحدة».

3– الاعتماد على مجرد سرد الأخبار، دون القيام بتحليل الأحداث أو تفسيرها، فهم –على حد وصف ابن خلدون – «إذا تعرّضوا لذكر الدّولة نسقوا أخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما أو صدقا، لا يتعرّضون لبدايتها، ولا يذكرون السّبب الّذي رفع من رايتها، وأظهر من آيتها، ولا علّة الوقوف عند غايتها، فيبقى النّاظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدّول ومراتبها، مفتّشا عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها، باحثا عن المقنع في تباينها أو تناسبها»[3]. مع الغفلة عن ملاحظة الأحوال الاجتماعية، وإهمال تأثيرها على سير التاريخ[4].

4 – وقد أنكر ابن خلدون على من اتجه إلى نظم التواريخ، وهذه المنظومات تحتوي –كما ذكر ابن خلدون– على أسماء الملوك وفترات حكمهم. ويمكن أن يحتج لهذه الأعمال

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 284 (ط/وافي).

[2] – نفسه، ص 324.

[3] – نفسه، ص 284–285.

[4] – عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ص 706.

بأن غرضها تعليمي[1]. وتستعمل –في التاريخ– لضبط الأسماء والتواريخ، ونحوها مما يراد استحضاره بدقة، وقد ظهرت مبكرا، على يد الشعراء، وتوجد منظومات تاريخية تعود إلى القرن الثالث الهجري[2]، وقد ازداد عددها بعد شيوع النظم لمختلف العلوم.

ثانيا: أسس منهج النقد عند ابن خلدون:

أ) قانون المطابقة: كان علم التاريخ الإسلامي يعتمد على الإسناد، متأثرا في ذلك بعلم الحديث[3]. وقد أشار ابن خلدون إلى أن منهج الإسناد يبقى صالحا لاستخدامه في التثبت من الروايات، ويحيل في ذلك إلى علم الجرح والتعديل. وهو في هذا يبرز العلاقة بين علم الحديث وعلم التأريخ الإسلامي. إلا أن ابن خلدون يرى فرقًا جوهريًّا حول دور الجرح والتعديل في تمحيص الأخبار الشرعية، وتمحيص الأخبار التاريخية.

فالأخبار الشرعية، معظمها تكاليف إنشائية، أي أوامر ونواه، يجب العمل بها إذا حصل الظن بصدقها، وذلك يتم عن طريق الجرح والتعديل، فيكتفى بالنظر في الإسناد، ولا يطلب أن ينظر في مطابقتها لأمر خارج. أما الأخبار التاريخية، فهي أحكام خبرية محضة، غايتها تقرير الواقع، ولهذا ينبغي أن ينظر إلى موافقتها للواقع أو عدم موافقتها له، وهنا لا يكتفى بالجرح والتعديل، بل ينبغي استعمال المطابقة[4]، «ففائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة»، والمقصود مطابقة الواقعة لطبائع العمران، «فالقانون في تمييز الحقّ من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشريّ الّذي هو العمران ... وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحقّ من الباطل في الأخبار، والصّدق من الكذب»[5].

---

[1] – فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ص 253.

[2] – ألف علي بن الجهم (ت249هـ) مزدوجة وتسمى (المحبرة)، ذكر فيها مبدأ الخلق ثم الأنبياء ثم خلفاء الإسلام إلى غاية عصره. يُنظر: صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي، مجلة البحوث الإسلامية، عدد 53، مجلد 24، ص ص 408–417، د ت، ص 410.

[3] – حسين عاصي: م س، ص 111.

[4] – ساطع الحصري: م س، ص 249– 251.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 331 (ط/وافي).

وقد أراد ابن خلدون أن يضع هذا «المعيار الصحيح الذي يتحرّى به المؤرّخون طريق الصّدق والصّواب» وهو –مثلما يقول– غرض الكتاب الأوّل من تأليفه،[1] يعني المقدمة.

إن النقد «بالمطابقة»، يشبه ما يعرف عند المحدثين ب«نقد المتن»[2]، فيتوصل بالنظر في متن الحديث إلى الحكم بكذبه، كما لو كان مخالفا للعقل أو الحس أو لما عُلم من الدين بالضرورة ... الخ[3].

إذن ، فابن خلدون لا يدعو إلى اطّراح المنهج الأصلي للتاريخ الإسلامي، وهو الإسناد، وإنما يقدم عليه نظرا آخر، وهو تصحيح الأحداث التاريخية من خلال عرضها على طبائع العمران، وهو –مثلما يصفه– «سابق على التمحيص بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعديل الرّواة حتّى يعلم أنّ ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأمّا إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنّظر في التّعديل والتّجريح»[4]، وعليه فإن المؤرخ يقوم بتمحيص الروايات ونقدها من خلال مرحلتين:

1– استبعاد ما لا يحتمل الصدق بوجه، وهو ما لا يتوافق مع قوانين العمران.

2– النظر والتدقيق في ثبوت ما يحتمل الصدق، وهو ما يمكن وقوعه من الحوادث[5].

ويعتمد في الأول على علم العمران، وفي الثاني على علم الجرح والتعديل. فيمكن القول أن ابن خلدون قد زود المؤرخ بأداة جديدة لنقد الروايات هي علم العمران، إلى جانب الجرح والتعديل، الذي تقررت قواعده ودرج المحدثون على استخدامه، ولذا لم يتعرض له بالشرح والتفصيل اكتفاء بذلك. أما علم العمران فقد تولى ابن خلدون شرحه وتوضيحه في المقدمة[6]، وهو عمل لم يسبقه إليه أحد.

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 331 (ط/وافي).

[2] – عبد الحليم عويس: التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، ص39.

[3] – جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في تقريب النواوي، ج 1، ص 325.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 330 (ط/وافي).

[5] – علي عبد الواحد وافي: مقدمة ابن خلدون (المقدمة)، ص 194.

[6] – ساطع الحصري: م س، ص249. زينب الخضيري، م س، ص 60.

ب) شروط المؤرخ:

1- ملكة النقد والتعليل: إن المؤرخ عند ابن خلدون لا يكتفي بسرد الأخبار (ظاهر التاريخ)، إنما هو من يقف في على باطن التاريخ، وذلك يتضمن شيئين:

تمحيص الأخبار: أي التأكد من صدقها، عن طريق الجرح والتعديل، وقانون المطابقة.

تعليل الوقائع: أي معرفة أسبابها، وكيفية حدوثها.

فعلى المؤرخ أن لا يكتفي بمجرد النقل، بل لا بد أن يختبر الأحداث ويدرسها ويقارن بينها، «ويسبرها بمعيار الحكمة ... وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار»[1].

2 – تعدد المعارف: دعا ابن خلدون إلى ضرورة الاعتماد في السرد التاريخي، على مطابقة «طبائع العمران». وهذه العبارة الأخيرة يندرج تحتها عدد من المعارف والعلوم، منها ما يسمى بالعلوم الإضافية للتاريخ، وعلى رأسها علم الاجتماع، وكذلك الجغرافيا والاقتصاد والديمغرافيا والاستراتيجية والتكتيك والعسكري...الخ، وحتى العلوم الطبيعية، وقد استَخدم هذا المنهج في نقده لبعض الروايات، مثل تزييفه قصة عدد جيش بني إسرائيل، وقصة بناء الإسكندرية[2].

يقول ابن خلدون معدّدًا المعارف التي ينبغي أن يتزود بها المؤرخ: «يحتاج صاحب هذا الفنّ إلى العلم بقواعد السّياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السّير والأخلاق والعوائد والنّحل والمذاهب وسائر الأحوال»، إضافة إلى معرفة واسعة بالماضي وأحوال الحاضر بصفة عامة، يدخل في ذلك تواريخ الدول والملل والقادة، «فيعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان [صحيحا] وإلّا زيّفه»[3]. فهذه المعارف هي أدوات المؤرخ التي من خلالها يمكنه التمييز بين الصحيح والزائف.

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 291 (ط/وافي).

[2] – ايف لاكوست: م س، ص 283.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص320 (ط/وافي).

ويقول في موضع آخر مؤكدا على هذه الفكرة، إنه لا ينبغي الاعتماد على مجرد النقل، بل لا بد من معرفة جيدة «بأصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ»، لتكون أصلا يقاس عليه ويقارن به ما يستجد من الوقائع[1].

3 - التثبت وحسن النظر: يلزم المؤرخ أن يتحلى «بحسن نظر وتثبت»، بحيث تكون له القدرة على فحص الأمور، وعدم تسرع إلى قبول الأخبار أو ردها، أو إلى إصدار الأحكام، حتى يعطي الواقعة ما تتطلبه من نظر وتدقيق.

ج) القوانين العقلية في دراسة التاريخ: إضافة إلى الشروط النفسية والأخلاقية والمعرفية التي تطلب في المؤرخ، فإن ابن خلدون يضع في متناوله عددا من القوانين يستعين بها في دراسة التاريخ، وهي[2]:

1- قانون العلية (السببية): ومعناها أن كل شيء يحدث له علة أو علل، ولا يمكن أن يحدث في صورة مختلفة، إلا إذا طرأ اختلاف في العلة أو العلل، ويعتبر إدوارد كار أن «دراسة التاريخ هي دراسة العلل». وقد حدد هيرودت غاية دراسته التاريخية بأنها البحث عن العلل[3].

وسيأتي مزيد بيان لهذا القانون في المبحث التالي.

2- قانون التشابه: يقرر «أن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النّقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور»، ويعيب على المؤرخين أنهم ينقلون الأخبار و«لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها»[4]،

---

[1] - ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 291 (ط/وافي).

[2] - يُنظر: طه حسين: الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون، ص ص 46-52. رافائيل ألتاميرا: آراء حول نظرية ابن خلدون التاريخية، ترجمة محمد عنان، منشور ضمن: ابن خلدون حياته وتراثه، ص249-251. زينب الخضيري: م س، ص ص 119-126

[3] - زينب الخضيري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص 119. وتُنظر عبارة إدوارد كار في كتابه: ما هو التاريخ، ص120.

[4] - ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 291، (ط/وافي).

لأن«الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء». ويستفاد من هذا القانون باستخدام القياس، وهو استنتاج غير مباشر.

ويرجع المستشرق ألتاميرا هذا التشابه إلى وحدة النفس الاجتماعية، التي تسمح بتكوين مبادئ منطقية لأعمال البشر[1]، ويرجعها طه حسين إلى الوحدة العقلية للجنس البشري[2].

ويوجد سبب آخر للتشابه وهو التقليد، ويعقد ابن خلدون فصلا «في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب»[3]، ولذلك صور منها: تقليد الناس لأصحاب السلطة، وتقليد أصحاب السلطة للدولة السابقة، وتقليد المغلوبين أصحاب الدولة التي زالت لأصحاب الدولة الجديدة[4].

3- قانون التباين: فحواه أن المجتمعات لا تتشابه بصفة مطلقة، بل بينها فروق ينبغي للمؤرخ أن يلاحظها، ولا ينبغي له الذّهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال، لأنها ليست ثابتة، ولكنها دائمة التغير على مر الزمان، وهذا التبدل أمر خفي لأنه يقع خلال أحقاب متطاولة فلا يكاد يُتفطّن له[5]، وسبب حدوث التباين أن كل دولة تحاول التشبه بالدولة السابقة، وتحتفظ ببعض ما عندها، فيحدث بعض التبدل، وكذلك يحصل في الدولة التالية ، «ثمّ لا يزال التّدريج في المخالفة حتّى ينتهي إلى المباينة بالجملة»[6].[7]

ويبدو في الظاهر وجود تعارض بين هذين القانونين الأخيرين، وليس الأمر كذلك، لأنهما لا يتواردان على نفس المحل. فقانون التشابه يستعمل عند النظر في الأمور التي هي ملازمة للطبيعة البشرية، وترجع لوحدة العقل البشري. أما قانون التباين فيستعمل في الأشياء التي هي عبارة عن أحوال وأوضاع، تتغير بتغير الزمان والمكان.

---

[1] – ألتاميرا: مقال سابق، ص 250.

[2] – زينب الخضيري: م س، 124.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص 184 (ط/شحادة).

[4] – نفسه، ص124.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 325. (ط/وافي).

[6] – نفسه، ج1، ص 321.

[7] – هذه القوانين الثلاثة أوردها طه حسين في أطروحته للدكتوراه: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ص 40 ، وتتابع الباحثون بعد ذلك على إيرادها. وأشار إليها ألتاميرا قبله.

ثالثا: مآخذ على منهج ابن خلدون النقدي:

تعرض منهج ابن خلدون إلى تعقيبات ومراجعات، وهي لا تعدو أن تكون بيانا لحدود ومجالات تطبيق المنهج الخلدوني في النقد، وليست نقضا له من أساسه، فمنها أن:

– تطبيق الحاضر على الماضي تعتوره أخطاء كثيرة، فرغم الوحدة النفسية والعقلية للجنس البشري، واستنادها إلى مبادئ ثابتة، فإن الحوادث تختلف، وأسبابها متداخلة[1].

– أن منهج النقد التاريخي الذي قال ابن خلدون بأنه قد استنبطه، كان معروفا ومبثوثا في مصنفات الأولين، وقد أورد الأستاذ خالد كبير علال طائفة من الأمثلة على ذلك[2]، وابن خلدون نفسه قد نقل عن بعض من سبقه شيئا من ذلك[3].

ولا بأس أن نتوقف عند هذه النقطة لنقول إن ابن خلدون يتميز عن غيره في اعتماده على منهج علمي واضح مرتب ودقيق، حيث يقدم تفسيراته وتعليلاته بطريقة قصدية، ويضع القواعد العامة، وهذا يختلف عن الكتابات التاريخية التي سبقته[4].

– أن قانون المطابقة محدود، لا يصلح لتحقيق الأخبار التي تدخل في إطار الإمكان العقلي والواقعي[5]، فإن أكثر الأخبار هي من هذا الصنف الأخير.

– استعمال العقل لرد الخرافات والأمور المستحيلة التي تناقض قوانين الطبيعة، لم تعد له فائدة، رغم أهميته في تمحيص الأخبار حين كتب ابن خلدون مؤلفه[6].

– عدم اطلاعه على تواريخ الأمم التي كانت لها نظم تخالف ما عرفه المسلمون من نظم كالخلافة والقبيلة، فمثلا ارتبط تاريخ اليونان بوحدة المدينة – الدولة[1].

---

[1] – ألتاميرا، المقال السابق، ص 250.

[2] – يُنظر: خالد كبير علال: أخطاء ابن خلدون في المقدمة، ص 25 إلى56.

[3] – مثل نقد عدة جيش بني إسرائيل، توسع ابن حزم في نقده في كتابه الفصل.

[4] – علي أجقو: إسهامات العلامة ابن خلدون في التأسيس لمنهج البحث التاريخي، مجلة تجسير للبحوث والدراسات، مج1، ع2، 2021، ص ص 6–38، ص9.

[5] – خالد كبير علال: أخطاء ابن خلدون في المقدمة، ص 9.

[6] – ألتاميرا، المقال السابق، ص 248.

المبحث الثاني: علم التاريخ وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون

يتناول هذا المبحث تحديد مفهوم التاريخ عند ابن خلدون، وتحديد مجالاته، ودوره في التأسيس لفلسفة التاريخ. إذ يتفق كل من كتب عن ابن خلدون في الشرق والغرب، بأهمية مساهمته في هذا المجال، إلا أن الآراء تختلف في توصيف وتحديد مدى هذه المساهمة والإبداع.

أولا: مفهوم التاريخ عند ابن خلدون:

أ) تعريف التاريخ ومجالاته:

قدم ابن خلدون تعريفات للتاريخ في عدة مواضع من المقدمة، فوصفه بأنه «فن عزيز المذهب شريف الغاية»، وحدد هذه الغاية الشريفة بالاقتداء في أمور الدنيا والدين[2]، ويتضمن ذلك أخذ العبرة، وهذه الغاية دأب المؤرخون المسلمون على ذكرها في مقدمات تواريخهم.

ويقول بأن التاريخ «في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول ... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق»[3]، فقد ميز صاحب المقدمة بين ما يسميه ظاهر التاريخ وباطن التاريخ، فبالاعتبار الأول يعني سرد أحداث الماضي، فهو التاريخ بمعناه العام، وبالاعتبار الثاني يبحث في العلل والقوانين التي تتحكم في الوقائع، ولذلك فهو من فروع الفلسفة، وهو يسمى في عصرنا فلسفة التاريخ[4]. وهو يشير إلى ذلك بقوله «فهو لذلك أصيل في الحكمة[5] عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق»[6]. فابن خلدون ينتزع التاريخ من العلوم التقليدية

---

[1] – محمد الجوهري ومحسن يوسف: م س، ص 176.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص291 (ط/وافي).

[3] – نفسه، ص 282

[4] – زينب الخضيري: م س، ص54.

[5] – استعمال ابن خلدون هنا للفظ الحكمة بمعنى الفلسفة لأن المركب الإضافي «علوم الحكمة» يحمل على المعنى الاصطلاحي.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص282 (ط/وافي).

ليضمه إلى العلوم الفلسفية، رغم أنه لم يورد التاريخ ضمن العلوم الفلسفية، عند تصنيفه للعلوم[1].

أما أهم وأشمل تعريف قدمه ابن خلدون فهو قوله: «حقيقة التّاريخ أنّه خبر عن الاجتماع الانسانيّ، الّذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التّوحّش والتّأنّس والعصبيّات وأصناف التّغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدّول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم، من الكسب والمعاش والعلوم والصّنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»[2].

كان المؤرخون يرجعون التأثير على مجريات التاريخ إلى الحكام غالبًا، فيُحلّونهم بالمدح أو ضده تبعا لذلك. لكن ابن خلدون كان يدرك القوى غير الشخصية الأخطر شأنا التي كانت تؤثر في سير التاريخ. وقد استعان في ذلك بمجموعة من المفاهيم، مثّلت أهم ما جاء في علمه الجديد، علم العمران البشري[3].

إذن فموضوع التاريخ في نظر ابن خلدون «يتجاوز الاهتمام بالجانب السياسي والعسكري من أحداث التاريخ، والتي يقتصر البحث عن أسبابها داخل القصور والجيوش، ليشمل مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ولم تكن هذه الجوانب تدرس إلا لغاية معيارية، أو لأغراض نفعية. لقد قام ابن خلدون بإحداث انقلاب في الفكر التاريخي، وربط بين قطاعات كانت المعرفة تفصل بينها: «واعلم أنّها أمور متناسبة، وهي حال الدّولة في القوّة والضّعف، وكثرة الأمّة أو الجيل، وعظم المدينة أو المصر، وكثرة النّعمة واليسار، وذلك أنّ الدّولة والملك صورة الخليقة والعمران، وكلها مادّة لها من الرّعايا والأمصار وسائر الأحوال ... »[4].[5]

وهذه النظرة الشاملة للتاريخ لم يتوصل إليها أحد قبل ابن خلدون، ولا بعده إلى غاية القرن الثامن عشر. إن هذا التوسع في تحديد موضوع التاريخ ينتهي إلى مطابقة التاريخ مع

---

[1] – علي أومليل: الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، ص 63.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص328 (ط/وافي).

[3] – طريف الخالدي: م س، ص 399.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص887 (ط/وافي).

[5] – إيف لاكوست: م س، ص 287.

ما يسمى «تاريخ الحضارة»، ولهذا كان ابن خلدون – من وجهة نظر بعض الباحثين – أول من حاول الكتابة في «تاريخ الحضارة»[1].

يرى الأستاذ شميت أن ابن خلدون هو الذي اكتشف ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعته ... فلم يسبقه أحد إلى القول بأن التاريخ علم خاص، وأن موضوعه هو جميع الظواهر الاجتماعية[2].

ويحدد ابن خلدون التاريخ – في موضع آخر– بأنه: «ذكر الأخبار الخاصّة بعصر أو جيل، فأمّا ذكر الأحوال العامّة للآفاق والأجيال والأعصار، فهو أسّ للمؤرّخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبيّن به أخباره»[3]. فالأوضاع العامة للمجتمع هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث التي يسردها المؤرخ، حتى تفهم في سياقها. وهذا يعني أن للتاريخ عند ابن خلدون معنى مزدوجا، فهو خبر عن الاجتماع الإنساني، وأخبار عن الأيام والدول، فالأول هو محتوى المقدمة، والثاني هو ما تضمنه كتاب العبر[4].

ولا شك أن هذه التعريفات بمجموعها يعطي فكرة عن مفهوم التاريخ عند ابن خلدون.

ب) علمية التاريخ:

لقد سبق ابن خلدون إلى اعتبار التاريخ علما[5]، مثلما قرر عدد من الباحثين، إلا أننا نجد أن طه حسين في دراسته لابن خلدون يرفض هذا الرأي، ويذهب إلى أن التاريخ لم يزل عند ابن خلدون فنا أدبيا، ويفسر أقوال من أثبت له ذلك السبق إلى اغترارهم بورود عبارة «علم» التاريخ في المقدمة. ويحتج –أيضا– بأن ابن خلدون لا يعنى بالبحث عن المصادر ولا فحصها، ولا يستفيد من الأثر المادي للوقائع، بل يتخذ معيارا نظريا هو المطابقة، وأنه

---

[1] – ساطع الحصري: م س، ص 241–242.

[2] – محمد عنان: م س، ص188–189.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 325.

[4] – حسين عاصي: م س، ص 172.

[5] – وأيضا استعمل لفظ فن التاريخ، وهذه اللفظة «فن»، لا تخالف معنى العلم عند القدامى، بل ترادفها.

بنظريته يقع في الدور: فالتاريخ بحث اجتماعي، ويجب لكتابته معرفة المجتمع، والمجتمع يدرس بالتاريخ الذي هو ملاحظة سطحية للوقائع. وفي هذا دور باطل وتناقض[1].

وقد فند الأستاذ ساطع الحصري هذه الحجج بما يلي:

– «أن العلم يتألف من معارف منسقة تنسيقا يربط الأسباب بالمسببات، ويظهر القوانين الترافقية أو التعاقبية. ... والنظرة العلمية ... تسعى لاكتشاف القوانين والعلل الموجبة»، نجد أن ابن خلدون يعتقد بوجود علل وأسباب تؤدي إلى حدوث وقائع التاريخ، وقوانين عامة تشمل جميع الأقطار والأعصار، ويحاول في المقدمة إظهار هذه القوانين العامة والأسباب.

– طرائق البحث التي لجأ إليها ابن خلدون كانت محدودةً وناقصة، وحصر طريقة الحصول على المعلومات التاريخية من الأخبار –المكتوبة أو المروية–، ولم يستفد من الآثار لدراسة التاريخ[2]، لأن التطور العلمي في عصره لم يكن يتيح له ذلك، فلا يمكننا نفي صفة العلم عن علماء الفلك مثلا، لأنهم لم يستخدموا الوسائل الحديثة.

– أن ابن خلدون لم يقل إن وسيلة دراسة المجتمع هي درس الوقائع التاريخية، بل اعتمد على المجتمعات المعاصرة له، ودعا إلى الاستدلال بالحاضر على الغائب، ومعظم بحوث المقدمة هي من هذا الباب، وهذا المسلك قد أصبح معروفا في مناهج البحث التاريخي[3].

– أما نقد الوثائق والمصادر المكتوبة، فقد كان معروفا قبل ابن خلدون، أعني التأكد من نسبة الكتاب إلى مؤلفه، والتأكد أن الوثيقة ليست مزورة، فلهذا لم يتعرض لها، كما لم يتعرض لقواعد الجرح والتعديل واكتفى بالإشارة إليها، لأنها قواعد متقررة عند العلماء.

---

[1] – يُنظر: طه حسين: م س، ص31 و34 و48.

[2] – إلا في حالات قليلة، مثل تكذيب ضخامة أجسام ثمود بالاستناد على حجم مساكنهم.

[3] – يُنظر: ساطع الحصري: م س، ص ص 491–495.

ثانيا: ابن خلدون وفلسفة التاريخ:

أ) تعريف فلسفة التاريخ:

1 – نشأة فلسفة التاريخ: يعتبر مصطلح فلسفة التاريخ، مصطلحا حديث النشأة، ويعود أول استخدام له إلى الفيلسوف الفرنسي فولتير، في كتابه (مقال عن أخلاق الأمم وروحها)، الذي صدر سنة 1756م، وكان يقصد به تأمل التاريخ بطريقة أصحاب المذهب العقلي في القرن 18م[1]، أي دراسة التاريخ دراسة عقلية ناقدة ترفض الأساطير والمبالغات، أي كل رواية يرفضها العقل[2].

أما مضامين فلسفة التاريخ، فقد كانت موجودة، ومبعثرة في الفكر الإنساني، ومختلطة بغيرها من المفاهيم، ثم تمايزت مسائل هذا العلم عن غيرها، وخصت باسم مستقل[3].

ويعتبر طائفة من الباحثين المفكر الإيطالي فيكو (1668 – 1744) صاحب كتاب (العلم الجديد) مؤسسَ هذا العلم، إلا أن مباحث فلسفة التاريخ ترجع إلى عصور أقدم، فقد وجدت منها شذرات في بعض التآليف منها كتاب (مدينة اللّه) للقديس أوغسطين، وكتاب الأمير لماكيافللي (1532) وكتاب الجمهورية (1577) لجان بودن، وخطبة في التاريخ العام (1681) لبوسويه، والحكومة المدنية (1690) لجون لوك.

ومن الذين بحثوا في فلسفة التاريخ بعد (فيكو): مونتسكيو، وتورغو، وفولتير، وغيزو، ولسنغ، وهردر، وهيجل[4].

2 – تعريف مصطلح فلسفة التاريخ: في المعجم الفلسفي: «فلسفة التاريخ تبحث في العوامل الأساسية المؤثرة في سير الوقائع التاريخية، وتدرس القوانين العامة المسيطرة على نمو الجماعات الإنسانية، وتطورها على مرّ العصور»[5]. كما يعرف بأنه: «محاولة تفسير

---

[1] – مصطفى النشار: فلسفة التاريخ، ص 27.

[2] – أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ص 123.

[3] – عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص41.

[4] – جورج صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص229.

[5] – نفسه، ج1، ص229.

حركة الأيام والوقائع، وما يكمن وراءها من أسباب وعوامل، وما يعقبها من غايات وأهداف»[1].

3 – بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ: مهمة المؤرخ هي البحث عن الوقائع الماضية، وتسجيلها بالدقة والموضوعية اللتين يتطلبهما البحث العلمي. فهو يهتم بتقصّي الحدث الجزئي من خلال تجميع الوثائق الخاصة بالحدث، ثم نقدها للتأكد من صحتها، وأخيرا مرحلة التأويل والتفسير[2].

أما فيلسوف التاريخ فيحاول فهم مسار الأحداث التاريخية ككل، للوصول إلى العلة الكلية الشاملة المفسرة للأحداث الجزئية، أي استخراج القواعد العامة التي يسير بمقتضاها التاريخ الإنساني. وتختلف هذه القواعد والمبادئ من فيلسوف إلى آخر، متأثرة بذاتيته، وبمدى اتساع المادة الفلسفية التي تقع في متناوله[3].

ب) ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ:

1– اعترافات بأسبقية ابن خلدون: تواتر عن كبار العلماء والمؤرخين في الشرق والغرب، اعتبار ابن خلدون هو منشئ فلسفة التاريخ[4]، منهم على سبيل المثال المؤرخ البريطاني توينبي، الذي يعتبر ابن خلدون سابع سبعة من النجوم المؤرخين عبر التاريخ، ويرى أنه في المقدمة «قد ألهم وصاغ فلسفة للتاريخ، هي بلا ريب أعظم عمل من نوعه، ابتكره أي عقل، في أي عصر وفي أي بلد»[5].

وقال عنه روبرت فلنت –وهو صاحب أشمل الدراسات عن فلسفة التاريخ– في كتابه (تاريخ فلسفة التاريخ): «من وجهة علم التاريخ وفلسفة التاريخ ... فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة، ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى، يستطيع أن يضاهي في اسمه

---

[1] – عبد الحليم عويس: م س، ص 10.

[2] – مصطفى النشار: م س، ص 16–18. نقلا عن: هونشو، علم التاريخ، ص 10–14.

[3] – نفسه، ص 22–23.

[4] – يُنظر: زينب الخضيري: م س، ص 66–67. وعبد الحليم عويس: التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، ص 111–112.

[5] – محمد عنان: م س، ص191.

لمعان ذلك الاسم ... وأما كواضع نظريات في التاريخ فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان، حتى ظهور فيكو بعده بأكثر من ثلاثة قرون» ويضيف: إن أول كاتب بحث في التاريخ كموضوع علم خاص كان ابن خلدون، أما هل يجب أن يعد أو لا يعد –لهذا السبب– «مؤسس علم التاريخ» فذلك سؤال قد يثير خلافا في الآراء»[1].

2– بين ابن خلدون وفيكو[2]: ينطلق الأستاذ ساطع الحصري من الغاية التي توقف عندها فلنت في عبارته المثبتة أعلاه، فيعقد مقارنة بين ابن خلدون وفيكو، يخلص منها إلى أن ابن خلدون أولى بلقب مؤسس علم التاريخ وفلسفة التاريخ، وذلك لأن:

– ابن خلدون يستند في آرائه إلى الوقائع، فهو يعتمد على الاستقراء في أبحاثه، أما فيكو فلا يلتزم بذلك بل يتبع منهجا عقليا، مستندا على خلفية فلسفية.

– تعليل ابن خلدون للأحداث مستقل عن الدين، فهو يربط الأحداث بأسباب ظاهرة، بخلاف ما يفعله فيكو، بحيث تشكل تعليلاته بالتدخل الإلهي جزءا مهما من آرائه.

– المقدمة أوسع من ناحية المواضيع، لأن ابن خلدون يدرك تعقد الحادثة التاريخية، فحاول الإلمام بالعناصر التي تؤثر فيها.

– إضافة إلى الفارق الزمني بين الرجلين، الذي يقارب ثلاثة قرون ونصف، كانت من المراحل الخصبة في الفكر الأوربي، ومع ذلك فإن ابن خلدون أقرب منه إلى الروح العلمية[3].

---

[1] – ساطع الحصري: م س، ص 165.

[2] – جامبا تيستا فيكو (1688–1744م): ولد في نابولي، انكب على دراسة القانون وفقه اللغة والتاريخ والفلسفة، درّس بجامعة نابلي. اشتهر بكتابه "العلم الجديد" (1725)، حيث حدد ثلاث فترات رئيسية في تاريخ كل شعب: 1– عصر الأرباب حيث تعتقد الأمم أنها تحكم بحكومات إلهية، عن طريق التكهن والوحي. 2– عصر الأبطال حين كانوا يسيطرون على الجمهوريات أرستقراطية. 3– عصر البشر، وفيه أقر الجميع بأنهم متساوون فأقاموا أولى الجمهوريات الشعبية ثم الملكيات. لم يحظ بالتقدير في عصره. (ول ديورانت: قصة الحضارة، ج40، ص 63 وما بعدها).

[3] – يُنظر: ساطع الحصري: م س، ص 167...185.

ج) مفاهيم خلدونية في تفسير التاريخ:

سنشير في السطور التالية إلى أهم هذه الآراء والمفاهيم على سبيل الاختصار.

1- قانون الأطوار الثلاثة: الحضارة عند ابن خلدون تتعاقب على الأمم في ثلاثة أطوار:

- طور البداوة: كمعيشة البدو في الصحاري، والبربر في الجبال، والتتار في السهول، وهؤلاء عند ابن خلدون لا يخضعون لقوانين مدنية، ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم. وتقوم علاقاتهم على روابط القرابة، وتكسبهم حياة التقشف خلالا فاضلة كالشجاعة والاستقلال.

- طور التحضر: وهو طور تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح، ثم الاستقرار في المدن، والتمكن من العلوم والصناعات، وهذا الطور يقوم على الدين والعصبية. وقد عقد ابن خلدون لهذا الطور فصلًا آخر بعنوان " فصل في أن الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك، أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق". لأن ذلك يدفعهم للبذل، ويزيل التنافس بينهم.

- طور التدهور: يأتي في نهاية التحضر، فتضعف العصبية، والعامل الحاسم في ضعف الدولة هو الترف، فتؤدي كثرة الإنفاق والتوسع في الشهوات إلى اختلال ميزانية الدولة، ولجوئها إلى زيادة الضرائب، كما يؤدي الترف إلى شيوع الفساد الخلقي[1].

2 - العصبية: وهي أهم ما يوجِّه التطوُّر العمراني عند ابن خلدون، وأكثر العناصر فاعلية في تفسير أحداث التاريخ. وهي بمثابة المحور الذي يدور حوله فكر ابن خلدون السياسي. وعرَّفها الجابري بأنَّها: «رابطة اجتماعيّة شعوريّة ولا شعوريّة معاً، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة، ربطاً مستمرَّاً يبرز ويشتدّ عندما يكون هناك خطر يهدِّد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة»، واعتبرها لاكوست غير منفصلة عن الظاهرة القبليّة[2]، وهو ينتقد

[1] - عبد الحليم عويس: م س، ص 133. وأحمد محمود صبحي: م س، ص 143 وما بعدها

[2] - وهو الذي يظهر بتتبع استعمال ابن خلدون لهذا اللفظ.

من يجعل منها مرادفا للتضامن الاجتماعي بوجهٍ عام، وذهب إلى أنَّ سكان الحواضر تغيب عندهم العصبيّة، ويرى الحبابي أن الميل إلى الالتحام هنا أقل متانة من روابط قرابة الدم[1].

ويبدو أن ابن خلدون لا يعتبر العصبية فكرة عامة، فلا يستعملها إلا حين يتكلم عن المغرب بالخصوص. فلم تكن العصبية مفهوما عاما عنده، وقد كان على علم بغياب العصبية في أكثر العالم الإسلامي، وتكلم عن غياب العصبيات في مصر والشام والأندلس[2].

إن ظاهرة العصبية لا ترتبط بمنطقة جغرافية معينة، ولكن بنمط من الحياة، هو الحياة البدوية، أين يكون التكتل والالتحام ضرورة لصد الأخطار. أما في الحضر، فإن أسوار المدينة وحامياتها تتولى الدفاع عن الأنفس والأموال[3].

3 – مبدأ الحتمية[4] الاجتماعية: وهذا المبدأ لم يؤخذ به في التاريخ إلى غاية العصر الحديث، حين طبقه مونتسكيو في كتبه.

ونجد ابن خلدون استعمل هذا المبدأ قبل ذلك بأربعة قرون، يقول: «اعلم.. أنّا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات، كلّها على هيئة من التّرتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسبّبات، واتّصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته»[5]، ويقول: «قد قدّمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد، وبيّنّا أنّها تحدث للدّولة بالطّبع وأنّها كلّها أمور طبيعيّة لها، وإذا كان الهرم

---

[1] – خلدون الحباشنة: ابن خلدون والتاريخ، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد العزيز الدوري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2010، ص 19.

[2] – يُنظر: ايف لاكوست، ص 208–209.

[3] – حسين عاصي، م س، ص 216، نقلا عن: (العصبية والدولة) لمحمد عابد الجابري.

[4] – الحتمية أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقا بغيره، حتى إذا عرفت ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن التنبؤ به، أو احداثه، أو رفعه .لالاند (جورج صليبا: م س، ج1، ص 443). فالحتمية تعني أن لظواهر الطبيعة عللا تحدثها، وهي مبدأ السببية بعينه. نفسه، ج1، ص 389.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، (ط/شحادة)، ج1، ص122

طبيعيّا في الدّولة، كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطّبيعيّة، كما يحدث الهرم في المزاج الحيوانيّ»[1].

وفي هذا يقول الأستاذ فارد Vard الأمريكي: «كانوا يظنون أن أول من قال وبشر بمبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية، مونتسكيو أو فيكو، في حين أن ابن خلدون كان قد قال بذلك وأظهر تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة، قبل هؤلاء بمدة طويلة»[2]. وقال استفانو كلوزيو: «إن مبدأ الحتمية الاجتماعية مما يعود الفخر في تقريره إلى ابن خلدون، قبل رجال الفلسفة الوضعية، وعلماء النفس، بقرون متطاولة»[3].

ثالثا: بين التاريخ وعلم الاجتماع:

قال المفكر الإسباني ألتاميرا : «وقد اشتمل تاريخه (العبر) على مقدمة، هي في الحقيقة مؤلف في الاجتماع والفلسفة التاريخية»، وقال الفيلسوف أورتيغا إي جاست: «وكتابه عن فلسفة التاريخ، هو في نفس الوقت أول «علم اجتماع»[4]، إن هذه العبارات تدل على الجسور القوية التي أقامها ابن خلدون بين التاريخ وعلم الاجتماع.

لقد «كان من نتائج تركيز ابن خلدون على الجوانب الاجتماعية في منهجه التاريخي، ما ذهب إليه بعض المفكرين، من أن ابن خلدون كان إلى الاجتماع (علم العمران)، أقرب منه للتاريخ وفلسفته... بيد أن الاتجاه الأغلب... يميل إلى أن النظرية الخلدونية هي نظرية في فلسفة التاريخ»[5]. ولا يختص هذا بابن خلدون وحده، فغيره من فلاسفة التاريخ الأوائل، يُعتبرون أيضا أصحاب المحاولات الأولى في علم الاجتماع[6].

---

[1] – نفسه، ج1، ص362. زينب الخضيري: م س، ص 120.

[2]– سامية الساعاتي: ابن خلدون مبدعا، ص 203.

[3] – نفسه، ص 201.

[4] – نفسه، ص 185.

[5] – عبد الحليم عويس: م س، ص 92

[6] – زينب الخضيري: م س، ص 9.

إن ابن خلدون –وهو بصدد وضع منهج نقدي للتاريخ– قد أنشأ علما جديدا سماه «العمران»، وقد عرف بأن هذا العلم يبين «الأحوال مثل التّوحّش والتّأنّس والعصبيّات، وأصناف التّغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدّول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصّنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»[1].

وعليه يمكن القول أن ابن خلدون وظف «علم العمران» بعدة اعتبارات:

– اعتباره معيارا لنقد الأخبار التاريخية، بل هو أهم المعايير في ذلك.
– الوقوف من خلاله على تفسير أحداث التاريخ وعللها.
– دراسة علم العمران لذاته، فإن «مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة»[2].

لقد صرح بأهدافه من دراسة العمران، وعالج الظواهر الاجتماعية من خلال منهجين:

– منهج تاريخي: باستقراء الوقائع، لوضع قوانين تكون مفسرة للأحداث التاريخية «وأعطى لحوادث الدّول عللا وأسبابا»[3]، وكذلك معيارا لنقد الأخبار، فمن أسباب الكذب «الجهل بطبائع الأحوال في العمران»[4].

– منهج وصفي: أراد به وصف أحوال العمران في عصره، محاكاة لما فعل المسعودي في شرح «أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثّلاثين والثّلاثمائة ... فصار إماما للمؤرّخين يرجعون إليه وأصلا يعوّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم»[5]، وذلك أن «ذكر الأحوال العامّة للآفاق والأجيال والأعصار، هو أسّ للمؤرّخ تتبني عليه أكثر مقاصده وتتبيّن به أخباره»[6].

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 328 (ط/وافي).
[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 332 (ط/وافي).
[3] – نفسه، ص 286.
[4] – نفسه، ص 329.
[5] – نفسه، ص 325.
[6] – نفسه، ص 325.

إن الترابط الذي نجده بين المجالين في نظرية ابن خلدون، يرجع إلى أن أحداث التاريخ تقع في سياق اجتماعي وثقافي، فلهذا لابد أن يكون للمؤرخ من معرفة بالمجتمع ونظريات علم الاجتماع، تمكنه من نقد الحدث وفهمه[1].

كما أن طبيعة الفعل الإنساني، الذي هو فعل اجتماعي وفعل تاريخي في الوقت ذاته، أدت إلى قيام نوع من الاعتماد المتبادل بين العلمين، فعلم الاجتماع يمد التاريخ بالمفاهيم والمبادئ النظرية كمفهوم القوة والطبقة والتغير والصراع، لتكون أدوات للبحث التاريخي، ويعتبر المنهج الاجتماعي في دراسة التاريخ أكثر المناهج علمية بين مناهج البحث التاريخي. ومن ناحية أخرى يزود التاريخ علم الاجتماع بالمادة التي تعين في فهم الأوضاع الراهنة[2].

إن علاقة التاريخ بعلم الاجتماع من المسائل التي اهتم بها العلماء والمفكرون اهتمامًا شديدًا منذ أوائل القرن العشرين، وأصبحت موضوع أبحاث كثيرة، في مؤتمرات التاريخ وفي مؤتمرات علم الاجتماع، إضافة إلى البحوث والمقالات المتعددة التي عالجت هذه العلاقة.

فعلى سبيل المثال قال سينوبوس ولانغلوا في كتاب (مدخل لدراسة التاريخ): «لأجل أن نتصوَّر الشروط والظروف التي حدثت تحتها وقائع الماضي، يجب أن نبحث عن الشروط والظروف التي تحدث تحتها الوقائع المماثلة، لها في الحالة الحاضرة، وذلك بدرس الأحوال البشرية الحالية». وقال هنري سه، في كتابه عن فلسفة التاريخ: «إن المؤرخ لا يمكن أن يفهم الماضي حق الفهم من غير أن يأخذ الحال بنظر الاعتبار».

[1] – محمد الجوهري ومحسن يوسف: ص 178.

[2] – محمد الجوهري ومحسن يوسف: م س، ص 178. نقلا عن: علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ص39 و70.

الفصل الثالث:

منهج ابن خلدون في تدوين التاريخ

المبحث الأول: تاريخ ابن خلدون

المبحث الثاني: العلاقة بين النظري والسرد التاريخي

المبحث الأول: تاريخ ابن خلدون

لم يترك ابن خلدون سوى مؤلَّف واحد في التاريخ هو كتابه العبر، ويمكن القول إنه مؤلفه الوحيد، وإنه لم يقدم بعد ذلك على خوض تجربة التأليف سواء في التاريخ أو غيره.

أولا: تدوين ابن خلدون للتاريخ:

أ) اتجاه ابن خلدون لتدوين التاريخ:

يذهب بعض الباحثين إلى أن ابن خلدون لم يعرف عنه العناية بالتاريخ قبل أن يؤلف كتاب العبر، وقائمة الكتب التي ألفها قبل ذلك تدل على اهتمامه بالنواحي الفلسفية والعقلية، وليس فيها مؤلف في مجال التاريخ[1]، وعليه فإن التقاءه بالتاريخ كان «عرضيا ومفاجئا» أثناء انعزاله في قلعة بني سلامة، فرضته عليه ظروفه الخاصة وظروف مجتمعه[2].

والظاهر أن علاقة ابن خلدون تسبق تأليفه لكتاب العبر، لأن العناية بالتاريخ كانت عامة عند المسلمين، وكانت مما ينبغي على أهل الوجاهة والنباهة أن يلمّوا به[3]، لا سيما من كان عمله في المناصب الديوانية في الدولة، فإنه يتأكد في حقه الاطلاع على التواريخ للوقوف على ضروب السياسات، وما يتعلق بأمور السلطة. كما نجد إشارة مهمة عند أحد مترجميه، وهو ابن الأحمر، فقد وصفه بأن له «معرفة تامة بالتواريخ الحديثة والقديمة»، وهذه الترجمة كتبت أثناء مقام ابن خلدون بالأندلس[4]، أي قبل قراره بقلعة بني سلامة[5].

---

[1] – حسين عاصي: م س، ص 78.

[2] – نفسه، ص79.

[3] – ايف لاكوست: م س، ص334

[4] – أبو الوليد ابن الأحمر: م س، ص 298.

[5] – دخل الأندلس مرتين الأولى سنة 764هـ والثانية سنة 776هـ، وبعد رجوعه منها استقر بقلعة بني سلامة، –كما مر في ترجمته– والظاهر أن الترجمة كتبت أثناء دخوله الثاني، لأنه ذكر عمله ببجاية، وكان مكثه ببجاية بين سنتي 766 و767هـ.

كما يفهم من كلام ابن خلدون نفسه، أنه كان مطلعا على التاريخ، فعندما تحدث عمّا كتبه من تاريخه بالقلعة قال: «أمليت الكثير من حفظي»[1].

اتجه ابن خلدون إلى كتابة التاريخ بعد أن اضطر إلى اعتزال السياسة، نتيجة الإخفاقات التي خيّمت على تجربته السياسية التي قاربت ربع قرن، عانى خلالها من السجن والإبعاد وخيبة الأمل في كثير من الأحيان، ولعل من أواخرها مقتل صديقه ابن الخطيب[2]. كما تأثر بما تميزت الحياة العامة في أقطار المغرب من صراع وعدم استقرار وانكماش حضاري.

وفي خلوته في قلعة بني سلامة اتجه إلى التأمل في تلك المشاكل والأزمات، فاتجه إلى دراسة التاريخ بغية فهم طبيعة هذه الأزمات وأسبابها، وكان حصيلة ذلك وضعه لعلم العمران، الذي حاول من خلاله رصد العوامل المؤثرة في حركة التاريخ[3].

وعليه فلم يكن اهتمام ابن خلدون بالتاريخ لمجرد العلم أو إرضاء لحاكم أو لمقاصد شرعية أو للتسلية، وهي البواعث التي كانت تدعو المؤرخين للتأليف، وإنما أراد من خلاله استخلاص الدروس من الماضي لفهم الحاضر[4].

ب) متى كتب ابن خلدون تاريخه:

مر تأليف كتاب العبر بثلاثة مراحل:

– المرحلة الأولى: وهي ما كتبه بقلعة بني سلامة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها تمتد على أربع سنوات، خلال الفترة ما بين سنتي 776هـ و780هـ، أي طوال المدة التي أقامها بالقلعة المذكورة، وأنه كتب التاريخ قبل المقدمة[5]. غير أن ما ذكره ابن خلدون نفسه يدل على خلاف ذلك، حيث يقول: «أتممت هذا الجزء الأول، المشتمل على المقدمة

---

[1] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 188.

[2] – فاروق النبهان: م س، ص 67.

[3] – يُنظر: حسين عاصي: م س، ص112. فاروق النبهان: م س، ص67.

[4] – حسين عاصي: م س، ص82.

[5] – يُنظر: علي وافي: مقدمة ابن خلدون (المقدمة)، ص 80. حسين عاصي: م س، ص 123.

بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب، في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة. ثم نقحته بعد ذلك وهذبته وألحقت به تواريخ الأمم، كما ذكرت في أوله وشرطته»[1.2]، ويقول في موضع آخر من التعريف: «ثم طال مقامي هنالك وأنا ... عاكف على تأليف هذا الكتاب، وقد فرغت من مقدّمته إلى أخبار العرب والبربر وزناتة، وتشوّفت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار»[3]، فقد ظل مشتغلا بتأليف الكتاب إلى حين رحيله إلى تونس، في رجب سنة 780هـ، فيكون تأليفه للتاريخ –دون المقدمة– استغرق حوالي سنة واحدة.

وهذه النسخة التي أنجزت في هذه المرحلة تمثل الخطة الأولية للتأليف.

– المرحلة الثانية: اعتمد ابن خلدون أثناء كتابته للتاريخ في القلعة على ذاكرته، فاحتاج إلى أن يرجع إلى المكتبات والمصادر لتنقيح كتابه وضبط معلوماته، فكان ذلك دافعَه للرحلة إلى تونس، وهناك أطلع الأمير أبا العباس الحفصي على مشروعه التأريخي، فحثه على إتمامه، فأكمل ابن خلدون عمله بعد ثلاث سنوات وأشهر، اشتغل خلالها بالتدريس، إضافة إلى ما يلزم من صحبة السلطان وغيره[4]، قال: «فأكملت منه أخبار البربر، وزناتة، وكتبت من أخبار الدولتين وما قبل الإسلام ما وصل إلي منها، وأكملت منه نسخة رفعتها إلى خزانته»[5].

– المرحلة الثالثة: بعد رحيله إلى المشرق في شعبان سنة 784هـ، توسع في تاريخ المشرق فـ«زاد ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الدّيار، ودول التّرك فيما ملكوه من الأقطار»[6]، وواصل تدوين أخبار المغرب، حسبما تبلغه «على ألسنة الواردين»[7] إلى المشرق. وظل ابن خلدون ينقح تاريخه – بما فيه المقدمة – أثناء مقامه بمصر. وكذلك فعل

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص 1365 (ط/وافي).

[2] – خلدون الحباشنة: م س، ص 124.

[3] – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص 188.

[4] – يُنظر: المصدر السابق، ص 188–190.

[5] – نفسه، ص 190.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 286 (ط/وافي).

[7] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص574.

بترجمته التي ذيل بها تاريخه، لينتهي بها إلى أواخر سنة 807هـ، أي قبل أشهر قليلة من وفاته[1].

بينما وصل في أخبار المغرب إلى سنة 796هـ، وفي أخبار دولة المماليك الى سنة 797هـ، وفي أخبار الأندلس إلى 794هـ[2].

ثانيا: المادة التاريخية عند ابن خلدون:

أ) محتويات تاريخ ابن خلدون:

يقسم ابن خلدون تاريخه إلى مقدمة وثلاثة (كتب) –حسب تعبيره–:

– المقدّمة في فضل علم التّاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمغالط المؤرّخين.

– الكتاب الأول: في طبيعة العمران، وهو ما يعرف بالمقدمة. مطبوعة في المجلد الأول.

– الكتاب الثاني: يتضمن تاريخ العرب، منذ مبدأ الخليقة حتى عهد ابن خلدون، وفيه يذكر أخبار الأمم المعاصرة لهم، كالسريان والفرس والقبط وبني إسرائيل والروم واليونان. وشغل هذا القسم المجلدات من الثاني إلى الخامس.

– الكتاب الثالث: في تاريخ البربر، منذ أقدم العصور حتى أيامه.

وذيل ابن خلدون تاريخه بترجمة مطولة لنفسه. وقد سبق ابن خلدون عدد من المؤلفين إلى كتابة تراجم حياتهم، مثل ياقوت وابن الخطيب وابن حجر، لكنها كانت تراجم موجزة، أما ابن خلدون فهو أول مؤلف مسلم يخصص لنفسه ترجمة تشغل كتابا كاملا[3]. وقد كان مسار حياته الحافل بالأحداث المهمة يسمح له بذلك.

وجاء الكتاب الثالث والترجمة في المجلدين السادس والسابع.

---

[1] – يُنظر: حسين عاصي: م س، ص 123...128.

[2] – علي وافي: عبقريات ابن خلدون، ص 121–122.

[3] – نفسه، ص 158

فنلاحظ أن خطته الأولية تغيرت حين رحل إلى المشرق، فقد ذكر أن غرضه هو كتابة تاريخ المغرب، وتاريخ سكانه وهم العرب والبربر[1]، وقد كانت النسخة التونسية تقتصر على ذلك، ولكنه حين رحل إلى المشرق وسع كتابه، وزاد أخبار العجم والترك ... واختار لكتابه في صيغته النهائية اسما طويل يدل على محتوياته، وهو: «كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيّام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر»[2].

ب) تنظيم ابن خلدون لمادته التاريخية:

أما من حيث تنظيم المادة التاريخية فإن ابن خلدون خالف المؤرخين من بعض الوجوه، وهو ما ذكره في وصفه لكتابه، فقال: «وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا»[3]. لقد كانت الطريقة الشائعة في كتابة التواريخ العامة هي طريقة الحوليات، غير أن ابن خلدون عدل عن ذلك، واختار نوعًا من التقسيم الموضوعي، فتتبع كل دولة من نشأتها إلى غاية نهايتها، مع مراعاة نقاط الوصل والتداخل بين مختلف الدول. وهذه الطريقة، وإن لم تكن من ابتداعه[4]، فإنها كانت وافية بمقاصده من دراسة التاريخ، وهو الوقوف على الأسباب التي تؤدي إلى نشأة الدول وازدهارها، أو انحدارها وانقراضها، وغير ذلك مما أراد ابن خلدون بحثه.

لم يبدأ ابن خلدون تاريخه ببدء الخليقة وقصة آدم، كما فعل أصحاب التواريخ العامة من المشارقة، ولم يبدأ من افتتاح الرسالة المحمدية، كما فعل المغاربة، ولكنه بدأ أخباره عن أقدم أجيال العرب، وهم العرب العاربة، ثم ذكر طبقات العرب، ويذكر في كل طبقة من

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 326 (ط/وافي).

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 285 (ط/وافي).

[3] – نفسه، ص 287.

[4] – هكذا في كتاب: ابن خلدون حياته وتراثه، ص 154، ونقلها وافي في تعليقه على المقدمة ص 120. ومثّل بكتابات الواقدي وابن عبد الحكم والبلاذري والمسعودي في المروج. ويبدو أن في هذا ما فيه، فإن كتابات الأوليان مختصة بقطر أو قطرين، أما كتاب البلاذري فإن طبيعة الكتابة في الفتوح تتطلب ذلك، لأنها أحداثها تكون مفصلة على الأيام، ولأنها أحداث محددة بجانب واحد. أما المسعودي فإنه يؤرخ حسب عهود الخلفاء، وهي مثل طريقة الحوليات من حيث المبدأ، تعتمد على التسلسل الزمني. بينما في كتاب (فكرة التاريخ عند العرب) نبه إلى أن النويري (ت732هـ) سلك هذا المسلك، في (نهاية الارب في فنون الأدب)، وقال في مقدمته إنه سيعرض التاريخ الإسلامي حسب الدول، لكي لا «يقطع على المطالع لذّة واقعة استحلاها، وقضيّة استجلاها». نهاية الأرب: ج13 ص2. نقلا عن: طريف الخالدي، م س، ص 384.

عاصرهم من أمم العجم[1]. أما القسم الخاص بالبربر، فقد بدأه بذكر أنسابهم وصفاتهم وصفة بلادهم، وتحدث عن أحوالهم قبل الفتح الإسلامي، ثم تاريخهم بعد الفتح، بذكر قبائلهم الكبرى مثل صنهاجة وزناتة ومصمودة، مرتبا أخبار كل قبيلة وفروعها على طبقات[2].

ج) مصادر تاريخ ابن خلدون[3]:

اعتمد ابن خلدون على طائفة من المصادر المتنوعة، وقد تنوع مدى توظيفه لها بحسب الدول والشعوب والفترات التي يعالجها، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

1- المصادر المكتوبة: اعتمد على كتب المؤرخين المسلمين، ولا سيما تاريخ الطبري، وبعده كتب المسعودي، ثم ابن الكلبي وابن الأثير والسهيلي، إلى جانب أسماء أخرى كثيرة.

وعندما كتب عن الدول غير العربية الإسلامية، حاول -حسبما أمكنه- الاستفادة من كتابات تلك الأمم نفسها، فنقل عن هروشيوش[4] ويسميه مؤرخ الروم. واعتمد في تاريخ النصارى على كتابات ابن العميد[5]، ويصفه بمؤرخ النصارى. وينقل تاريخ اليهود عن التوراة وغيرها، وينفرد بالنقل عن كتاب يوسف بن كريون، فيما يتعلق بعمارة بيت المقدس بعد

---

[1] – خلدون الحباشنة: م س، ص132.

[2] – كما هو واضح من فهرس كتاب العبر. أما الكتاب الثاني فقد ذكر محتوياته في أوله، يُنظر: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 19-20.

[3] – يُنظر: خلدون الحباشنة: م س، ص 55 وما بعدها.

[4] – **بول اورسيوس:** ولد في شمال غرب إسبانيا بين سنتي 375 و380م، درس اللاهوت النصراني، ورحل إلى هيبون للتتلمذ على أوغسطين، فأمره بكتابة تاريخ العالم حتى 416م، وبالضبط تاريخ الكوارث، فاعتمد على تواريخ سابقيه. وقد تُرجم كتابه في الأندلس، أرسل ملك القسطنطينية نصه الأصلي ضمن هدية للناصر الأموي، وترجم في عهد الناصر أو ابنه المستنصر. والنسخة العربية المترجمة التي نقل عنها ابن خلدون تخالف النص اللاتيني. (أورسيوس: تاريخ العالم، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ص 5 وما بعدها (مقدمة المحقق).

[5] – **ابن العميد (602-672 هـ = 1205-1273 م):** جرجس بن العميد بن إلياس، المعروف بالمكين، مؤرخ من كتاب النصارى السريان. أصله من تكريت ومولده بالقاهرة، ونشأ في دمشق. ولي الكتابة في ديوان الجيش بمصر، ثم أقام في دمشق إلى أن مات. له كتاب (المجموع المبارك) جزآن، الأول في التاريخ القديم إلى ظهور الإسلام، والثاني (تاريخ المسلمين – ط) من بدء الإسلام الى عصر الملك الظاهر بيبرس. (الأعلام للزركلي، ج 2، ص 115-116).

الخراب الأول، ويذكر بأنها فترة لم يكتب فيها المؤرخون شيئا، حتى عثر على هذا المخطوط بمصر[1].

وقد تمكن ابن خلدون – بحكم مناصبه – من الاطلاع على بعض الوثائق والسجلات الديوانية والرسائل الرسمية، ونقل منها في تاريخه، مثل قوله: «وأمَّا هذه الدول التي أدركناها... فأعظمها دولة الترك بمصر... فوقفت على جريدة إحصائها، ومنها نقلت... وبعدها دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، ووقفت على جريدة في خزانة ملوكهم بخط صاحب المال عندهم»[2].

2- المصادر الشفوية: التقى ابن خلدون خلال تنقلاته ورحلاته، وما تبوأه من مناصب سياسية ورتبة علمية، بشخصيات مهمة ومتعددة المشارب، فاستفاد من خلال مشافهتهم ومساءلتهم معلومات جمة، استثمرها في تدوين تاريخه.

وقد كان لهذا النوع من المصادر أهمية كبيرة في بعض المواضيع، كحديثه عن القبائل العربية والبربرية بالمغرب، وقد صرح بالنقل عنهم في مواضع مثل: أخبرني من أثق به من الهلاليّين لهذا العهد[3]. أخبرني يوسف بن علي بن غانم عن شيوخ قومه من المعقل[4]. أخبرني بذلك الثقة عن إبراهيم بن عبد الله التمروغني قال وهو نسّابه زناتة لعهده[5].

ونقل روايات عن موظفي الدولة، الذين لهم اطلاع ومشاركة في الأحداث، مثل: أخبرني ألطنبغا الجوباني[6]. لقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزني أمير بسكرة، وأخبرني..[7].

وكان يسأل الوافدين، لا سيما من الأقطار البعيدة، كقوله: أخبرني من لقيته من أهل الصين[1]. أخبرني الفقيه برهان الدين الخوارزمي وهو من علماء خوارزم وأعيانها[2]. أخبرني

---

[1] – خلدون الحباشنة: م س، ص 160. يُنظر تحقيق نسبة هذا المخطوط عند: علي أومليل: م س، ص 112-114.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، (ط/الشدادي)، ج1، ص 308. نقلا عن: خلدون الحباشنة: م س، ص 58.

[3] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص26.

[4] – نفسه، ج6، ص 61.

[5] – نفسه، ج7، ص 63.

[6] – نفسه، ج5، ص525.

[7] – نفسه، ج7، ص70.

القاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول من أهل سجلماسة، وكان أوطن بأرض كوكو...[3].

3- المشاهدة والمعاصرة: قضى ابن خلدون فترة طويلة من حياته في المغرب في غمار الحياة السياسية، وكان مشاركا في تشكيل المشهد السياسي لتلك الفترة، وكذلك كان له في مصر مشاركة سياسية في بعض الفترات. وكان – ولا بد – دائم الاهتمام بالشأن السياسي وأحوال المجتمع، بحكم تكوينه وتجاربه واهتماماته. فكان كل هذا مصدرا مهما من مصادر تاريخه.

ثالثا: تقويم تاريخ ابن خلدون

أ) قيمة تاريخ ابن خلدون:

من ناحية السرد التاريخي تفاوتت محتويات كتاب العبر من حيث القيمة والأهمية، وذلك بحسب القرب الزماني أو المكاني للأحداث.

أما تأريخه لأحداث المشرق فهو قليل الأهمية، وقد صرح هو نفسه بعدم اطلاعه على أحوال المشرق[4][5]، وأنه كان يقصد بالدرجة الأولى أن يؤرخ للأقطار المغربية[6]، وقد أشار بعض المشارقة إلى هذا الضعف[7]. ولكن هذا ليس على إطلاقه، فبعض أخباره المشرقية مهمة وأصلية. فقد خصص لأخبار الترك مجلدا كاملا، واجتهد في تحقيق تاريخ الترك، ومنهم المماليك والتتار، لا سيما أخبار تيمورلنك ولقائه معه، معتمدا على المصادر

---

[1] – تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 600.

[2] – نفسه، ج5، ص601.

[3] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 296.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 326 (ط/وافي).

[5] – لم يكن ابن خلدون استثناء في عدم إحاطته بأحوال المشرق، فقد كان عدم اطلاع المشارقة على تاريخ المغرب والعكس، سمة غالبة، أشار إليها ابن الأثير في نقده للمؤرخين فقال: وَالشَّرْقِيُّ مِنْهُمْ قَدْ أَخَلَّ بِذِكْرِ أَخْبَارِ الْغَرْبِ، وَالْغَرْبِيُّ قَدْ أَهْمَلَ أَحْوَالَ الشَّرْقِ» (الكامل: ج1، ص6)، وقد أشار ابن خلدون إلى أن المسعودي، على سعة اطلاعه، قد قصر في استيفاء أحوال المغرب.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 326 (ط/وافي).

[7] – قال ابن حجر: «ولم يكن مطّلعاً على الأخبار على جليّتها لا سيما أخبار المشرق» (إنباء الغمر، ج2، ص340).

المكتوبة، وعلى المشافهة والمشاهدة[1]. ويعتبر ما كتبه عن عصر السلطان برقوق بمثابة شهادة، فهو هنا لا يذكر أي مصدر[2]. وإنما ركز على «الترك» كمجتمع وتاريخ، لأنه يمثل حقلا ممتازا للتدليل به على نظرياته في العمران، لتشابه حياة بدو الأتراك مع بدو العرب والبربر، وكذلك لأن المشرق كان تحت سيطرتهم في عهده[3].

أما القسم الخاص بالمغرب من كتاب العبر، فهو بالغ الأهمية، وفيه من الأخبار ما لا نجده عند أي مؤرخ قبله ولا بعده، وتزداد أهمية كتابته حين يتطرق للتاريخ المغربي المعاصر، سواء حين يتحدث عن الأحداث العامة، أو التي اشترك فيها، وسواء من حيث التحقيق والعرض، أو من حيث التحليل[4]. فقد أفاض في الحديث عن القبائل البربرية وتفصيل أنسابها وأخبارها، كلٌّ على حدة، فمثلا يقول: «هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب»[5]. وكذلك أثناء سرده لأخبار القبائل العربية التي دخلت المغرب، عني بتفصيل الحديث عنها، فقال: «ونحن الآن نذكر أخبارهم ومصائر أمورهم ونعدّدهم فرقة فرقة»[6].

أما حين يكون ناقلا، فإن مستوى تأريخه لبلاد المغرب يتضاءل، فنجد أنه أخلّ بذكر حوادث ذكرها مؤرخون مشارقة كالطبري وغيره، ويخل أحيانا ببعض الأخبار فيختصرها، مثلما فعل بتاريخ الموحدين، رغم إعجابه بهم، وكذلك يتجاهل بعض المصادر المغربية[7]. ولو أنه اقتصر على تاريخ المغرب وتوسع في ذلك، لازدادت أهمية ما دوّنه حول تاريخ المغرب[8].

---

[1] – حسين عاصي: م س، ص 190. وعلي أومليل: م س، ص 119.

[2] – علي أومليل: م س، ص 120.

[3] – نفسه، ص 118 و137.

[4] – محمد عنان: م س، ص149 و156.

[5] – خلدون الحباشنة: م س، ص 71. وتاريخ ابن خلدون، ج7، ص9.

[6] – تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 30.

[7] – يُنظر: حسين عاصي: م س، ص 178–189

[8] – فاروق النبهان: م س، ص92.

وكذلك توجد أجزاء أخرى من تاريخ ابن خلدون تمتاز بقيمة كبيرة. مثل حديثه عن تاريخ صقلية في عهدها الإسلامي، وعن فترة ملوك الطوائف بالأندلس، ودولة بني الأحمر بغرناطة، وعن ممالك النصارى بإسبانيا[1].

وتعتبر ترجمته لنفسه جزءا مهما من كتاب العبر، تستفاد منه سيرة حياته في كل مراحلها، إضافة إلى سيرة أسرته، وجانب من الحياة الثقافية بتونس وغيرها، وهو أيضا مصدر مهم عن الأحداث السياسية التي شارك فيها أو عاشها، في المغرب والأندلس والمشرق.

ب) مميزات الكتابة التاريخية عند ابن خلدون:

نلمح فيما دونه ابن خلدون في تاريخه بعض السمات، منها:

1- القصد إلى تحري الحقيقة: أراد ابن خلدون أن يخلّص علم التاريخ من الشوائب والنقائص، التي شوهته، وقلّلت من قيمته ومنفعته. وحاول بيان علل الوقائع وكيفياتها، فكان ذلك دافعه للكتابة، لا لنصرة مذهب، أو الإشادة بدولة أو جنس، أو التقرب من ذي سلطان. ورغم أنه قد شابهُ شيء من ذلك فيما بعد، مثلًا عند حديثه عن عهد أبي العباس الحفصي الذي أهدى إليه النسخة الأولى من كتابه، أو عن دولة الموحدين[2]، وكذلك ما تعلق بعهد السلطان برقوق في مصر. لكن ذلك كان محدودا، ولم يكن دافعه الأصلي للكتابة.

2- الحيادية وضبط النفس: وهي سمة ظاهرة في كتابته، لا سيما فيما يتعلق بتدوين التاريخ المعاصر. فالمؤرخ عند تدوين تاريخ عصره، يتأثر بظروف ذلك العصر فيما يصدره من أحكام، وخاصة فيما تعلق بالدول والحكام الذين نال منهم حظوة أو أذى. وقد لقي ابن خلدون كل ذلك، إلا أنه عند تدوين تلك الأحداث يلتزم الاعتدال، ويورد تلك الوقائع في نبرة هادئة، خالية من العاطفة، فيشهد مصرع أمرائه، ويذكره دون تأثر، ويصف مقتل صديقه ابن

---

[1] – محمد عنان: م س، ص 153.

[2] – يُنظر: علي أومليل: م س، ص 98-99. وذكر أنه قد ألفت في المغرب، وفي الفترة المعاصرة لابن خلدون، تواريخ لصالح الدول الثلاث، مثل (روضة النسرين في دولة بني مرين) لأبي الوليد ابن الأحمر (ت807هـ)، و(تاريخ بني عبد الواد) ليحيى ابن خلدون (ت 780هـ)، و(الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية) لابن قنفد القسنطيني (ت810هـ)، وهذه التواريخ تتضمن مدح هذه الدول وأنسابها والقدح في أعدائها.

الخطيب، فلا يزيد على أنه سفاهة من الوزير. وهذا بخلاف كثيرين غيره، يطلقون أقلامهم للحط ممن أساء إليهم، مثلما فعل ابن الخطيب، إذ نال بقلمه من آذوه من الأمراء والوزراء[1].

وأوضح ما تبدو هذه السمة في كتاب التعريف، فقد اعتنى فيه بتسجيل الأحداث بتفصيل، غير مهتم بتدوين الأفكار والانفعالات. وحتى عند تعرضه لمصائبه العائلية، كهلاك والديه وشيوخه في الطاعون، وغرق السفينة التي كانت تحمل أهله وولده من تونس، فإنه يصفها في عبارات موجزة جدا. لم يشذ عن ذلك إلا عند حديثه عن عمله في القضاء[2].

3- محاولة تمحيص الروايات والاهتمام بنقد المصادر: عمل ابن خلدون على الاستفادة من المصادر التي بين يديه بطريقة مُثلى، للحصول على أقرب الروايات إلى الحقيقة، وقد كان حريصا على توثيق مادته، بالإشارة في عشرات بل مئات المرات إلى مصادر نقوله[3]. وكان يرجع إلى المصادر المتخصصة في الموضوع الذي يتناوله، فمثلًا في الأنساب يرجع إلى أهم ما ألف فيها، وعلى رأسها جمهرة ابن حزم[4].

وكان يجمع بين عدة مصادر في تحقيق الواقعة ويتحرى الصحيح منها[5]، وقد يقدم بعض المصادر على غيرها، مثل اعتماده على كتاب النسوي في أخبار السلطان منكبرس وابنه، قال: «وعلى كتابه اعتمدت دون غيره لأنَّه أعرف بأخبارهما»[6]. وفي موضع آخر يقول: «هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه في ذلك»[7]. وينقل تاريخ النصارى عن ابن العميد، ويعتمد على كتاب الطبري في سرد أحداث فتنة الجمل، وذلك للوثوق به، ولسلامته من الأهواء التي شابت كتابات غيره من المؤرخين[8]، وقال في ختام حديثه عن الخلافة الراشدة: «وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية ... أوردتها ملخصة من كتاب الطبريّ ... فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك، وأبعد من المطاعن في

---

[1] – محمد عنان : م س، ص 155-156.

[2] – ساطع الحصري: م س، ص 101.

[3] – يُنظر: خلدون الحباشنة: م س، ص 50 وما بعدها.

[4] – نفسه، ص 66.

[5] – يُنظر: خلدون الحباشنة: م س، ص 160.

[6] – تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 129.

[7] – نفسه، ج2، ص 283.

[8] – نفسه، ج2، ص 622.

كبار الأمّة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وأتبعتها بمفردات من غير كتاب الطبريّ بعد أن تخيرت الصحيح جهد الطاقة»[1]، وغيرها من الأمثلة الكثيرة على مسلكه هذا[2].

ورغم ما تقدم فإن ابن خلدون وقع في عدد من الأخطاء فيما ينقله، ليس عن المشرق فحسب، بل وفي أخبار المغرب أيضا، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح، وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية، وقدم إلى إفريقية مع طوالع الفتح فكان بها. وأخذ بدين الخارجية والاباضية منهم. وكان صنيعة [لليمنية] وحليفا لهم»[3]، وفي هذا العبارة جملة من الأخطاء الواضحة[4].

[1] – تاريخ ابن خلدون، ج2، ص650. خلدون الحباشنة: م س، ص 167.

[2] – يُنظر: خلدون الحباشنة: م س، ص 161 وما بعدها.

[3] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 158–159.

[4] – حسين عاصي: م س، ص185.

المبحث الثاني: العلاقة بين النظري والسرد التاريخي

كان ابن خلدون شديد الإعجاب بما توصل إليه من خلال أبحاث المقدمة، وكان أيضًا معجبا بالقسم التاريخي من تأليفه، الذي اعتبره قد «استوعب أخبار الخليقة... وأعطى لحوادث الدّول عللا وأسبابا، فأصبح للحكمة صوانا. وللتّاريخ جرابا»[1].[2]

ورغم إشادة العلماء والمؤرخين بالمقدمة، وبالمنهج التاريخي الذي جاء به ابن خلدون من خلالها، فإن نظرتهم إلى تاريخه ليست بذلك التقدير. إذ كانوا يتوقعون أن يكتب التاريخ بطريقة مغايرة لكتابات المؤرخين قبله، على ضوء ما انتهى إليه من أبحاث، متجنبا ما أخذه عليهم من مزالق ونقائص، وأن يترافق النقد والتعليل مع السرد التاريخي في كتابه.

أولا: العلاقة بين المقدمة وكتاب العبر:

يعتبر كثير من الباحثين أن العلاقة بين المقدمة والتاريخ مفقودة، وأن ما أصّله ابن خلدون من قواعد في المقدمة، لا نجد له أثرًا في تاريخه، «أي أن ابن خلدون وهو يكتب تاريخه غفل عن القوانين التي اكتشفها بنفسه»[3]. وبالتالي فإنه لم يستطع أن يطبق مبادئه النظرية في دراسة تاريخية تطبيقية، وكتب التاريخ كما فعل غيره من المؤرخين الذين انتقدهم[4]. يقول روبرت فلنت: «إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ، وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم، وأما كواضع نظريات في التاريخ، فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان»[5].

ويذهب فريق آخر إلى إيجاد نوع من العلاقة بين المقدمة والتاريخ، ليست بالضرورة تطبيق قوانين المقدمة في أثناء السرد التاريخي.

فبعضهم يميز بين طبيعة كل من المقدمة والتاريخ، مستندين على كلام ابن خلدون عن «ظاهر التاريخ وباطنه»، وعليه فكتاب العبر يمثل ظاهر التاريخ، في حين أن المقدمة

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ج1،ص 287 (ط/وافي).

[2] – حسين عاصي: م س، ص 174.

[3] – علي أومليل: م س، ص 214.

[4] – حسين عاصي: م س، ص 151. عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، ص 108.

[5] – علي وافي: عبقريات ابن خلدون، ص125.

تمثل باطن التاريخ[1]. فقد قام ابن خلدون بتجميع دراسة الأسباب العامة في المقدمة، ثم تتبع مصير القبائل والأسر الحاكمة في القسم التاريخي[2]، ولعل هذا مراده في قوله متحدثا عن منهجه في كتاب العبر: «داخلًا من باب الأسباب على العموم، إلى الإخبار على الخصوص»[3].

ويمكن القول بعبارة أخرى إن هدف ابن خلدون من خلال المقدمة هو شحذ القابلية التمحيصية لدى المؤرخ، وتقديم منهجية ومعيار لتمتحن بها صحة الأخبار «فالمقدمة آلة للتاريخ كما أن المنطق هو آلة الفلسفة بالمفهوم الأرسطي»[4]. ولعل هذا هو غرض ابن خلدون، وهو ما يفهم من قوله: «فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران، علمنا ما نحكم بقبوله ممّا نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا، يتحرّى به المؤرّخون طريق الصّدق والصّواب فيما ينقلونه، وهذا هو غرض هذا الكتاب الأوّل من تأليفنا»[5]، فهو يرى بأنه بوضعه لكتاب العبر على ما هو عليه، يكون قد أدى ما التزم به، فلهذا يصفه بأنه استوعب الأخبار وأسبابها، وأنه تعرض لمختلف جوانب النشاط الإنساني من سياسية واقتصادية واجتماعية[6].

بينما يرى آخرون أن التاريخ الذي ألفه ابن خلدون هو «ملحق ملائم للمقدمة»، فهو رواية لتاريخ العالم، مرتبة بحسب تعاقب الدول، مثلما يجب أن يكتب التاريخ ويفهم، وليس جمعا لوقائع تاريخية متفرقة، لا رابط بينها إلا أنها وقعت في سنة واحدة. فابن خلدون يورد الحوادث متتابعة، وفي ضمن ذلك نجد تعليقات وانتقادات وتفسيرات، وبيانا لكيفية امتلاك السلطة وأسباب ضياعها، وعمل العصبية في ذلك، ويشخّص أسباب تدهور بعض الدول والمدن في عصره، وهو يضع القواعد في متناول القارئ، ويحثه على عرض الأخبار على ما عنده من القواعد[7].

---

[1] – محمد الجوهري ومحسن يوسف: م س، ص52.

[2] – ايف لاكوست: م س، ص 294. وهو يحدد عمل ابن خلدون بالمغرب تنظيرا وتطبيقا.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 286 (ط/وافي).

[4] – حسين عاصي: م س، ص173

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص331 (ط/وافي).

[6] – نفسه، ج1، ص 287 (ط/وافي).

[7] – طريف الخالدي: م س، ص 395.

وعلى هذا «فالمقدمة تمثل القوانين، والعبر يمثل المختبر»، فالأولى تقدم القواعد، والثاني يقدم تطور الأحداث بما يثبت صحة تلك القواعد[1].

أما ابن خلدون نفسه فإنه يلح – في عدد من المواضع– على العلاقة بين المقدمة والتاريخ ، فهو يذكر أن مؤلفه في التاريخ «العبر» يشمل المقدمة والكتب الثلاثة[2]، ويقول: «أتممت هذا الجزء الأول المشتمل على المقدمة ... في مدة خمسة أشهر... ثم نقحته بعد ذلك وهذبته وألحقت به تواريخ الأمم»[3]. وكذلك قوله السابق أنه جمع بين الحكمة والتاريخ في كتابه.

ونجده، عند إيراده لبعض الأخبار، يحيل على بعض ما أصله من نظريات في المقدمة[4].

فمن الأمثلة عن الإحالة بين أجزاء الكتاب، قوله: «فإنّ العمالات والممالك في الدّول على نسبة الحامية ... حسبما نبين في فصل الممالك من الكتاب الأوّل»[5] «ولا يتفطّنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد، كما نبيّنه في فصل القضاء من الكتاب الأوّل»[6].

وقوله: «وإنّما رجّحناه لأنّ المباني العظيمة، والهياكل الشامخة، لا يستقل بها الواحد كما قدّمنا في الكتاب الأوّل»[7]، وقوله في نقد خبر عن فرعون: «أنه كان نجارا تقلب حاله الى عرافة الحرس، ثم تطور إلى الوزارة، ثم إلى الاستبداد. وهذا بعيد لما قدّمناه في الكتاب الأوّل»[8].

وقوله: «كان نقفور ملكًا بالقسطنطينية... ولم يزل يترقى في الأطوار إلى أن نال من الملك ما ناله. وهذه غلطة ينبغي للعقلاء أن يتنزّهوا عنها، ولا ينال الملك من كان عريقا في

---

[1] – خلدون الحباشنة: م س، ص 126.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 286 (ط/وافي).

[3] – نفسه، ج3، ص 1365 (ط/وافي).

[4] – خلدون الحباشنة: م س، ص 126.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص 293 (ط/وافي).

[6] – نفسه، ج1، ص 323 (ط/وافي).

[7] – تاريخ ابن خلدون، ج2، ص57.

[8] – نفسه، ج2، ص86.

السوقة، وفقيدًا للعصابة بالكلية وبعيدًا عن نسب أهل الدولة، فقد تقدم من ذلك في مقدمة الكتاب ما فيه كفاية»[1]. إلى غير ذلك من الأمثلة.

ثانيا: تطبيق ابن خلدون لمنهجه في تدوينه للتاريخ:

افتتح ابن خلدون كتابه بانتقاد مناهج المؤرخين قبله، وذكر أمثلة من الأخبار الخرافية التي كانت تنقل دون تمحيص، فقام بتفنيدها بأنواع متعددة من الحجج. وقد صنع مثل ذلك حين تناول تاريخ الدول والأمم. وسأذكر فيما يلي بعض القضايا والأخبار التي تناولها ابن خلدون بالنقد والتحليل في تاريخه، لنقف على مدى التزام ابن خلدون المؤرخ بمنهجه النظري. ولن أتتبع كل ما وقع من ذلك، ولكن أكتفي ببعضها على سبيل التمثيل[2].

أ) تطبيق منهجه في تحقيق الأخبار:

لقد استطاع ابن خلدون أن يطبق قوانينه على الأخبار التي هي من قبيل الخرافات والأساطير[3]، التي تناقض العقل وقوانين الطبيعة، فكتابه يخلو من هذا النوع من الأخبار التي توجد في كثير من كتب التاريخ الأخرى. إلا أن ابن خلدون يؤخذ عليه عدم تطبيقه لمنهجه على الأخبار الأخرى التي تدخل تحت دائرة الإمكان العقلي والمنطقي. غير أن المتتبع لتاريخ ابن خلدون يجد الكثير من التصحيحات والنقد والتفسير للأخبار التي يوردها، وفقا للمنهج الذي وضعه. وسأذكر عددا من هذه الانتقادات، وبعض هذه الأمثلة تبدو اليوم أنها ليست ذات قيمة، لكن في عهد ابن خلدون كانت محل اهتمام المؤرخين.

ففي حديث ابن خلدون عن أخبار آدم وذريته يضعف ما يروى في ذلك ويقول: « وليس لدينا من أخبار آدم وذرّيته إلّا ما وقع في المصحف الكريم»[4].

---

[1] – تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 314..

[2] – استعنت في كثير من الأمثلة برسالة: خلدون الحباشنة: م س، الفصل الرابع.

[3] – حسين عاصي: م س، ص 121.

[4] – تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 6.

وكذلك قال عن أخبار القرون السابقة لنوح عليه السلام «يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الأنبياء ... وما سوى ذلك من حطام المفسرين، وأساطير القصص، وكتب بدء الخليقة، فلا نعوّل على شيء منه»[1].

وزيف ما يروى عن ضخامة أجسام ثمود، –وممن نقل ذلك المسعودي–، فقال: «وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه، يشهد بأنّهم في طولهم وعظم حجراتهم مثلنا سواء»[2].

وعلّق على ما ذكره المسعودي من «أنّ أوّل من اتخذ الخمر فلان، وأوّل من ملك فلان، وأوّل من لعب بالصقور والشطرنج فلان، مزاعم كلها بعيدة من الصحة. إنما وجْهه أن السريانيين لما كانوا أقدم في الخليقة، نسب اليهم كل قديم من الأشياء»[3].

ووصف ما تردد في كتب التاريخ من «القول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم، قول بعيد في العادة»[4].

وبالنسبة لما يروى من أن هاشم بن عبد مناف هو أوّل من سنّ الرحلتين في الشتاء والصيف للعرب، فقد قطع بعدم صحته «لأنّ الرحلتين من عوائد العرب في كل جيل، لمراعي إبلهم ... وتكوّنت على ذلك طباعهم، فلا بد لهم منها، ظعنوا أو أقاموا»[5].

وقد نال موضوع تصحيح الأنساب أو تضعيفها اهتمامًا من ابن خلدون، بسبب خفاء الأنساب وكثرة الادعاءات في هذا الأمر، لأن عراقة النسب كانت تحظى بالتقدير عند الناس. فقد رد نسبة بني بويه الديلميين إلى ملوك الفرس، «لأنّ الرئاسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم كما ذكرنا في مقدّمة الكتاب»[6]. وكذلك يرد انتساب قبائل المعقل إلى آل

---

[1] – تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 21.

[2] – نفسه، ج2، ص 24.

[3] – نفسه، ج2، ص 80.

[4] – نفسه، ج2، ص 78.

[5] – نفسه، ج2، ص 402. وطريف الخالدي: م س، ص 397، وذكر هنالك امثلة أخرى.

[6] – تاريخ ابن خلدون، ج3، ص 490.

البيت، إلى جعفر بن أبي طالب منهم، « لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة»[1].

ويقول عن الحاكم العبيدي: «وأما ما يرمى به من الكفر وصدور السجلات بإسقاط الصلوات فغير صحيح، ولا يقوله ذو عقل، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقُتل لوقته»[2].

وحين ناقش قضية أصل البربر ذكر أن «القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق، وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا، قول ساقط ... إذ مثل هذه الأمة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض، لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور. والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون، بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام»[3].

ب) تطبيق منهجه في التعليل:

حرص ابن خلدون على تعليل وتفسير الأحداث الكبرى في التاريخ، مستعينا بمفاهيم وقوانين العمران التي ذكرها في المقدمة.

فمن ذلك أنه حين تعرض للفتنة زمن عثمان، اعتمد رواية الطبري، إلا أنه يذكر الأسباب المحيطة بالحوادث، ويقدم تفسيرا لما وقع، وهو أن العرب كانوا منشغلين في عصر النبوة والفتوحات، فلما خف أثر ذلك، عادت «عروق الجاهلية تنبض»، فأنف العرب من رياسة المهاجرين والأنصار عليهم، وبدأوا يظهرون العصيان والتمرد[4].

وذكر أن بقايا هوارة لما غلبهم بنو هلال أخذوا «بمذهب العرب وشعارهم وشارتهم في اللبوس والزي والظعون وسائر العوائد. وهجروا لغتهم العجميّة إلى لغتهم، ثم نسوها كأن لم تكن لهم، شأن المغلوب في الاقتداء بغالبه»[5]، وهذا أحد قوانينه في العمران[1].

---

[1] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 78

[2] – نفسه، ج4، ص76.

[3] – نفسه، ج 6، ص 126.

[4] – نفسه، ج2، ص 586 وما بعدها. خلدون الحباشنة: م س، ص 167. طريف الخالدي: م س، ص 400.

[5] – نفسه، ج6، ص 383.

وفي موضع آخر يعلل سبب ضعف أمر البربر بما سبق أن أصّله في المقدمة حول تأثير الترف على المُلك، فيقول: «مع أنّ المذلّة للبربر إنما هي حادثة بالقلّة ودثور أجيالهم بالملك الّذي حصل لهم، ونفقوا في سبله وترفه كما تقدّم لك في الكتاب الأوّل من تأليفنا»[2].

ويتحدث عن نهاية دولة الروم على يد العرب المسلمين بقوله: «وضعُف أمر الروم ومُلكهم بعد الانتهاء إلى غايته شأن كل دولة»، إشارة إلى نظريته حول أعمار الدول، وحتمية سقوطها في النهاية، بعد أن تشيخ، وتدبّ فيها عوامل الضعف[3].

«ويبين ابن خلدون مدى دقة تحليله حين يتناول تواريخ أمم أو شعوب»، مثل العرب[4] والترك[5]، وكيف خرج أولئك من مشهد التاريخ وخلفهم هؤلاء[6]. وكان أحيانا عندما يشرع في موضوع جديد، يبتدئ بتمهيد، يمثل تفسيرا للأحداث التي سيذكر تفصيلها، وتحديدا للعوامل الكامنة خلفها.

فمن ذلك أنه حين ابتدأ الكلام عن دولة بني أمية افتتح حديثه بتحديد العوامل التي أهّلت بني أمية للخلافة، مستندا إلى نظريته في العصبية[7]، فبين مكانة بني عبد مناف في الجاهلية، وأن ذلك كان في بني أمية وبني هاشم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عددا، إلى آخر ما قال[8].

وكذلك حين تكلم عن حوادث فتنة الناصري، مهّد لذلك بفصل حول انتقال الدول بالتدريج إلى الضخامة ثم إلى الضعف، وأثر الخشونة والترف في ذلك، وكان مجال تطبيقه لهذه المفاهيم هو تاريخ دولة المماليك[9].

---

[1] – خلدون الحباشنة: م س، ص 189.

[2] – تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 7.

[3] – خلدون الحباشنة: م س، ص 163.

[4] – تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 3...6

[5] – نفسه، ج5، ص 426–428.

[6] – طريف الخالدي: م س، ص 405.

[7] – خلدون الحباشنة: م س، ص 168.

[8] – تاريخ ابن خلدون، ج3، ص 3–5

[9] – نفسه، ج 7، ص 698.

ويعتبر مفهوم العصبية أكثر مفهوم استعمله ابن خلدون في تفسير الأحداث التاريخ، فهو يرجع قيام الدول إلى قوة العصبية، –وقد مر قوله عن بني أمية–، وكذلك يقول عن بني زيان –بعد أن يفند نسبتهم إلى العلويين– إن «مَنالهم الملكَ والعزة إنما كان بعصبيتهم، ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية». ويربط سقوط كثير من الدول بضعف العصبية، كقوله: «ومثل هذا وقع لبني العباس، فإن عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق»، «وكذا صنهاجة بالمغرب، فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة أو ما قبلها، وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحوا آثارهم»، «وكذا دولة بني أمية بالأندلس لما فسدت عصبيتها من العرب، استولى ملوك الطوائف على أمرها»[1]. وغيرها من الأمثلة المشابهة[2].

ويشير إلى أن الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها، ولا يكثر الهرج والانتقاض فيها، ولا تحتاج الدولة إلى عصبية كبيرة كما هو الشأن في مصر والشام لعهده، ولهذا فملك مصر مستقر لقلة العصائب، «وإنما هو ملك ورعية»، وينحصر الصراع بين طوائف الجند من الترك. وكذلك في الأندلس تلاشت العصبيات، وقد تمكن ابن الأحمر من الحكم بعصابة قليلة من قرابته[3].

ونجده من جهة أخرى يعلل طول مدة الفتح الإسلامي للمغرب بكثرة قبائل البربر، وانتشارهم في البوادي، فكلما هلكت قبيلة، قامت أخرى مكانها. وبعكس هذا في العراق والشام ومصر، فلم تكن لهم عصبيات، وكانوا أهل مدن وأمصار[4]. وبهذا تكون العلاقة عكسية بين قوة العصبيات وتعددها، وبين الاستقرار السياسي.

---

[1] – خلدون الحباشنة: م س، ص 152.

[2] – يُنظر: المرجع السابق، ص ص 150–155.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، ص 207–208 (ط/شحادة). ايف لاكوست: م س، ص 208.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، ص 206 (ط/شحادة).

ج) خلاصة وتقييم:

من خلال ما سبق في هذا الفصل، نجد ابن خلدون قام بنقد المادة التاريخية بصورتين:

- إجمالية، بوضع القواعد التي يمكن من خلالها تمحيص الأخبار ومناقشتها.
- تفصيلية، وهي الانتقادات والتعليقات الموجودة أثناء رواية الأحداث التاريخية.

لم يلتزم ابن خلدون في تاريخه كما ينبغي بما وضعه من أسس منهجية، وعُذره في ذلك أنه كان أول من حاول القيام بمثل هذا العمل، والمحاولات الأولى في الغالب تكون ناقصة، كثيرة الثغرات والهفوات، ولصعوبة تطبيق هذا المنهج النظري على حيز واسع من التاريخ .

ومع ذلك فإن ابن خلدون يتفوق على غيره من المؤرخين من حيث:

- خلو تاريخه من الأساطير والمبالغات الخرافية.
- كثرة تصحيحاته وتعليلاته، مقارنة بغيره من المؤرخين[1].
- تفوقه الواضح في تقويم الأحداث باستعمال القوانين والمفاهيم الاجتماعية.

ثالثا: أثر ابن خلدون على الكتابة التاريخية:

أ) تأثيره في العالم الإسلامي:

إن محاولة ابن خلدون وضع منهج نقدي للتاريخ، وتوسيع مجال البحث التاريخي، قد بقيت يتيمة، لأنها جاءت في فترة كانت الأمة الإسلامية في طور الانحدار الحضاري، فلم تستفد من آرائه إلا بدرجة طفيفة جديدة من قبل أفراد معدودين، على رأسهم المقريزي الذي أثنى على المقدمة لا سيما قوله: « مقدمته لَمْ يعمل مثالها ... توقف عَلَى كُنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبئ عن أصل كل موجود...»[2].

---

[1] – يُنظر: طريف الخالدي: م س، ص 397.

[2] – ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1، ص 236.

وقد تأثر به من ناحية الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وأوضح مثال على ذلك كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة»، تعرض فيه للأزمات التي مرّت بها مصر، محتذيا طريقة ابن خلدون في الشرح والتعليل[1].

وقد اعترف السخاوي بنفاسة مقدمة ابن خلدون في (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ)... بل يبدو تأثره فيما كتب عن قيمة التاريخ، وأثره في دراسة أحوال الأمم»[2].

وقد ألف بعد ابن خلدون عدد من الأبحاث حول علم التاريخ، وهي بضعة أعمال متتابعة ظهرت في مصر خاصة، أهمها (المختصر في علم التاريخ) للكافِيَجي (ت 879هـ) و(الإعلان بالتوبيخ) للسخاوي (ت902هـ)، و(الشماريخ) للسيوطي (ت911هـ). حملت هذه المؤلفات طابع الدفاع عن هذا العلم، أكثر مما حملت طابع التحليل لماهية علم التاريخ ومناهجه[3]، فلم تستفد مما كتب ابن خلدون، ولم تبن على ما توصل إليه، لتفتح آفاقا جديدة في الكتابة التاريخية.

ب) تأثيره في العالم الغربي:

لم يكن للمقدمة تأثير على الغرب، لأن فترة تتلمذ الأوربيين على المسلمين، حينما وضع ابن خلدون كتابه، كانت قد انتهت[4]، فلم تترجم المقدمة إلى اللغات الأوربية، إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ليكتشف الغرب أن ابن خلدون قد سبق مفكريهم إلى كثير من الآراء، بل والعلوم. وأصبح المؤرخون المعاصرون يهتمون بالتاريخ الاجتماعي، وتأثير التغيرات الاجتماعية على مسار التاريخ، وكان ابن خلدون أول من نبه إلى ضرورة الاهتمام به.

---

[1] – محمد عنان، م س، ص 109 و110.

[2] – علي عبد الواحد وافي: مقدمة ابن خلدون (المقدمة)، ص 265 (ط/وافي).

[3] – شاكر مصطفى: م س، ص 14–15.

[4] – ساطع الحصري: م س، ص 72.

الخـاتـمـة

الخـاتمــة

بانتهاء فصول هذه الدراسة حول الفكر التاريخي عند ابن خلدون، يمكننا إيراد النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

– تميز عهد ابن خلدون بالاضطراب السياسي وكثرة الفتن، وتعرضِ العالم الإسلامي للتهديدات الخارجية، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية، بينما كانت الأوضاع الفكرية والعلمية أفضل حالًا إلى حدٍّ ما.

– نشأ ابن خلدون في أسرة عريقة في السياسة والعلم، وتلقى تكوينا علميا متينا، أهّله لخوض غمار الحياة العامة. فكانت حياته عبارة عن حركة دائمة وتنقل مستمر، فعاش بين المغرب والمشرق، وزاول عدة وظائف من عمل سياسي وإداري وتدريس وقضاء، فأكسبه ذلك أفقا واسعا، وظهرت آثار ذلك فيما خلّفه من تراث علمي.

– بيّن عبد الرحمن ابن خلدون أوجه الخلل والنقص عند المؤرخين قبله، وخاصة أسباب تطرق الخطأ إلى الروايات والأخبار، واقترح منهجا للنقد يعتمد أساسا على قانون المطابقة، أي مطابقة الوقائع التاريخية لقوانين العمران، فأنشأ لبيان هذه القوانين علما جديدا، هو علم العمران. كما نعى على المؤرخين المتأخرين وقوعهم في التقليد، وغفلتهم عن تبدل الأحوال.

– يعتبر ابن خلدون أول من كتب في فلسفة التاريخ، ووضع الأسس لجعل التاريخ علمًا، تحكمه قوانين وقواعد ثابتة، حيث نبه إلى مبدأ الحتمية في دراسة أحداث التاريخ، ووسع مجال التاريخ ليشمل كل النواحي المتعلقة بالمجتمع، وأقام علاقة ترابط بين التاريخ وعلم الاجتماع.

– يعتبر كتاب العبر لابن خلدون من المصادر الأصلية المهمة، فيما يخص تاريخ المغرب، وخاصة في الفترة التي عاصرها، حيث إنه ينفرد بمعلومات لا توجد في أي مصدر

آخر، وقد غطّى جانبا مهما من تاريخ الأقطار المغربية وكذلك بالنسبة لنفس الفترة من تاريخ المشرق.

– حاول ابن خلدون تطبيق نظرياته عند تدوينه للتاريخ، واختُلف في مدى نجاحه في ذلك، وفي صورة هذا التطبيق. إلا أنه يلاحظ أن ابن خلدون استعان بكثير من المفاهيم والقواعد التي أودعها في مقدمته، أثناء عرضه للأحداث التاريخية. كما أنه كان يسير في منهجه النقدي والتفسيري بطريقة قصدية، وعلى منهج مرسوم، حاول التزامه. وهو في ذلك يخالف غيره من المؤرخين الذين كانوا ربما يبدون ملاحظات عابرة في بعض الأحيان، نجدها متناثرة في كتاباتهم.

إلا أنه مما يؤسف له أن المؤرخين المسلمين الذين عاصروا ابن خلدون والذين أتوا من بعده لم يستفيدوا من نظرياته، لأنه جاء في عصر انحطاط العالم الإسلامي، بينما لم يتعرف عليه الغرب إلا متأخرا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف: **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان (طبع باسم: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن)**، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1396هـ/1976م.

- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم: **الكامل في التاريخ، ج1**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي أبو المحاسن: **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج7** تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: **إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2**، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ/1994م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: **رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418 هـ /1998م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري: **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله الغرناطي: **الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **[العبر] وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب [والعجم] والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)**، ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

– ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **التَّعريف بابن خَلدون ورحلته غربا وشرقا (رحلة ابن خلدون)**، تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م.

– ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، تقديم وتحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط3، 1401هـ.

– الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **الأمصار ذوات الآثار**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج1**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط2، 1415هـ.

– ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن محمد: **عجائب المقدور في أخبار تيمور** (المكتبة الشاملة).

– المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج6**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.

– المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك، ج5**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.

– النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي النباهي المالقي: **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ/1983م.

– النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري: **نهاية الأرب في فنون الأدب، ج13**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1 ، 1423 هـ.

ثانيا: المراجع:

أ- الكتب:

- أورسيوس، بول: **تاريخ العالم**، ترجمة وتقديم: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982.

- أومليل، علي: **الخطاب التاريخي (دراسة لمنهجية ابن خلدون)**، دار التنوير، بيروت، ط3، 1985م.

- بدوي، عبد الرحمن: **مؤلفات ابن خلدون**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006م.

- الجوهري، محمد - يوسف، محسن: **ابن خلدون إنجاز فكري متجدد**، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2008م.

- حسين، طه: **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**، ترجمة: محمد عبد الله عنان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ط1، 1343هـ/1925م.

- الحصري، ساطع: **دراسات عن مقدمة ابن خلدون**، مؤسسة هنداوي، وورك هاوس وندسور، المملكة المتحدة، 2021م.

- الخالدي، طريف: **فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة**، ترجمة: حسني زينة، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، ط1، 2015م.

- الخضيري، زينب محمود: **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

- دهينة، عطاء الله: **الحياة الاقتصادية لدولة بني زيان**، (ضمن: الجزائر في العهد الإسلامي)، وزارة الثقافة والسياحة- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- ديورانت، وِل (ويليام جيمس): **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ/1988م.

- روزنثال، فرانز: **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

- الساعاتي، سامية حسن: **ابن خلدون مبدعا (قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع)**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006م.

- شاكر، محمود: **التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي)**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، 1421هـ/2001م.

- صبحي، أحمد محمود: **في فلسفة التاريخ**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1975م.

- صليبا، جورج: **المعجم الفلسفي**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1414هـ /1994م.

- طقوش، محمد سهيل: **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، بيروت، ط5، 1432هـ/2011م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2، دار النهضة، 1976م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.

- عاصي، حسين: **ابن خلدون مؤرخا**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

- عمران، محمود سعيد: **معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ت.

- عنان، محمد عبد الله: **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط4، 1427هـ/2006م.

- عويس، عبد الحليم: **التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون**، سلسلة: كتاب الأمة، عدد 50، ذو القعدة 1416هـ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف قطر، الدوحة، 1416هـ.

- عويس، عبد الحليم: **فلسفة التاريخ نحو تفسير إسلامي للسنن الكونية والنواميس الاجتماعية**، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م.

- فروخ، عمر: **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984.

- كبير علال، خالد: **أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة**، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، ط1، 1426هـ/2005م.

- لاكوست، إيف: **العلامة ابن خلدون**، ترجمة: ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2017م.

- مصطفى، شاكر: **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983.

- النبهان، محمد فاروق: **الفكر الخلدوني من خلال المقدمة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

- النشار، مصطفى: **فلسفة التاريخ**، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2004م.

- وافي، علي عبد الواحد: **عبقريات ابن خلدون**، شركة عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1404هـ/1948م.

ب - الرسائل والأطروحات الجامعية:

- بديرة، عادل: **الحياة الاقتصادية لبادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط من القرن 4 إلى القرن 7هـ/10-13م**، "رسالة ماجستير"، إشراف: مفتاح خلفات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2018.

- بونابي، الطاهر: **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين** "رسالة دكتوراه"، إشراف: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/ 2008-2009م.

- حباشنة، خلدون خليل سليم: **ابن خلدون والتاريخ**، "رسالة دكتوراه"، إشراف: عبد العزيز الدوري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2010م.

- سلام، مجدي: **العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية**، "رسالة دكتوراه"، إشراف: قاسم عبده قاسم، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 2004-2005م.

ج - المقالات:

- أجقو، علي: **إسهامات العلامة ابن خلدون في التأسيس لمنهج البحث التاريخي**، مجلة تجسير للبحوث والدراسات، مج1، ع2، 2021، ص ص 6-38.

- ألتاميرا، رافائيل: **آراء حول نظرية ابن خلدون التاريخية**، ترجمة محمد عنان، منشور ضمن: ابن خلدون حياته وتراثه، لمحمد عنان، ص ص 247-264.

- سعيدوني، ناصر الدين: **أين كتب ابن خلدون مقدمته؟**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 3، ديسمبر 2008م، ص ص 7-15.

- صديقي، عبد الجبار: **التحولات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي خلال مرحلة اضمحلال الدولة الموحدية**، مجلة دراسات، جوان 2016، ص ص 278-295.

الفهارس

الفهارس:

أولا: فهرس الأعلام:

- الهمزة -

الآبلي (محمد بن إبراهيم): 18، 23

ابن الأثير: 56، 58

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل: 24، 51

ابن الأزرق: 69

ألتاميرا (رفائيل): 46،35

ألطنبغا الجوباني: 21، 57

ابنا الإمام (أبو زيد وأبو موسى): 12، 13،
14

أوغسطين: 41

إي جاست، أورتيغا: 46

- ب -

بايزيد العثماني: 6

ابن بحر (محمد بن بحر): 17

ابن بُرَّال محمد بن سعد الأنصاري: 17

برقوق الملوكي: 5، 21، 59، 60

برهان الدين الخوارزمي: 58

ابن بطوطة: 10، 13

أبو بكر محمد (والد ابن خلدون): 16، 17

البلاذري: 55

بودن(جان): 41

بوسويه: 41

- ت -

التمروغني (إبراهيم بن عبد الله): 57

ابن تومرت: 3

توينبي (أرنولد): 42

تيمورلنك: 5، 6، 22، 59

- ج -

جعفر بن أبي طالب: 68

جنكيز خان: 6

الجيّاني (محمد بن عبد الله): 17

- ح -

ابن حجر: 54

ابن حزم: 15، 61

أبو الحسن المريني: 12، 17

الحصايري، أبو عبد الله: 17

أبو حمو الزياني: 16، 19، 20

- خ -

خالد البلوي: 10، 13

ابن الخطيب الغرناطي: 12، 19، 23، 52، 53، 54، 61

- ذ -

الذهبي: 13

- ر -
ابن رشد: 23
ابن رشيد: 13
- ز -
أبو زكريا الحفصي: 3
ابن زمرك: 12
- س -
ساطع الحصري: 40، 43
السهيلي: 56
سينوبوس: 48
- ط -
الطبري: 30، 56، 59، 61، 62، 68
طه حسين: 35، 40
- ع -
أبو العباس الحفصي: 20، 53، 60
ابن عبد الحكم: 55
عبد الرحمن بن رستم: 62
ابن عبد السلام التونسي: 13، 14، 17
عبد العزيز المريني: 19
عبد المهيمن بن محمد الحضرمي: 17
عثمان بن عفان: 68
ابن عرفة: 13
علي بن الجهم: 31
ابن العميد (جرجيس): 56، 61
- غ -
ابن مرزوق: 13
ابن غانم، يوسف بن علي بن غانم: 57
غيزو: 31
- ف -
فارد: 46
الفخر الرازي: 23
فرج المملوكي: 22
ابن فضل الله العمري: 13
فلنت (روبرت): 43، 63
فولتير: 41
الفيروز آبادي: 13
فيكو: 41، 43، 63
- ق -
أبو القاسم محمد القصير: 17
ابن قنفد القسنطيني: 13، 60
- ك -
ابن الكلبي: 56
كلوزيو (استفانو): 46
- ل -
لانغلوا: 48
لسنغ: 41
لوك (جون): 41
- م -
ماكيافللي، نيقولا: 41
محمد ابن خلدون (أخو ابن خلدون): 16
محمد بن أبي بكر (جد ابن خلدون): 16

ابن مزني (أحمد بن يوسف بن مزني):
19، 57
المزي: 13
المسعودي: 30، 47، 55، 56، 58،
67
أبو مسلم عمر بن محمد ابن خلدون: 15
أبو علي المشدالي: 13، 14
المعتصم: 70
ابن مفلح الحنبلي: 22
المقري: 13
المقريزي: 23، 71
منكبرس: 61
مونتسكيو: 41، 45، 46
- ن -
النسوي: 61
نقفور: 66
نور الدين (زنكي): 12
النويري: 12، 55
- هـ -
هاشم بن عبد مناف: 67
هردر: 41
هروشيوش = أورسيوس: 56، 61
هنري سه: 48
هيجل: 41
- و -
الواثق: 70
الوادياشي (محمد بن جابر): 17
الواقدي: 55
ابن وانسول (محمد بن وانسول): 58
وائل بن حجر: 15
- ي -
ياقوت الحموي: 54
يحيى ابن خلدون: 16، 19، 60
يغمراسن بن زيان: 4
يوسف بن كريون: 57

ثانيا: فهرس الشعوب والقبائل والدول:

- الهمزة -

بنو إسرائيل: 33، 36، 54

الأعراب: 9

بنو أمية: 69، 70

الأندلسيون: 7

الأنصار: 68

أهل الذمة: 7

الأيوبيون: 12

- ب -

البربر: 4، 7، 13، 44، 53، 54، 55، 56، 57، 59، 68، 69، 70

بنو بويه: 68

- ت -

التتار: 3، 5، 44، 59

الترك، التركمان: 5، 9، 53، 55، 57، 69، 70

- ث -

ثمود: 40، 67

- ج -

الجركس: 5، 9

الجلائريون: 6

- ح -

الحفصيون، الدولة الحفصية: 3، 7، 16، 17، 60

- د -

الديلم: 68

- ر -

الروم: 5، 54، 56، 69

بنو رياح: 19

- ز -

زناتة: 7، 53، 56، 57، 59

الزيانيون، الدولة الزيانية: 4، 16، 70

- س -

السريان: 54، 56، 67

- ص -

صنهاجة: 56، 70

- ط -

الطالبيون: 68

- ع -

بنو عباد: 16

بنو العباس، العباسيون: 4، 70

بنو عبد الواد: 4، 16، 60

بنو عبد مناف: 69

العثمانيون: 5، 6

العرب: 4، 7، 29، 53، 54، 55، 56، 57، 59، 63، 67، 68، 69، 70

- ف -
الفُرس: 54، 62، 68
- ق -
القبط: 52
- م -
المرينيون، الدولة المرينية: 4، 57، 60
مصمودة، المصامدة: 56، 70
المعقل: 57، 68
المغول: 3، 4، 5، 6، 11، 21
المماليك: 3، 4، 5، 6، 8، 11، 12، 14، 54، 59، 70
المهاجرون: 68
الموحدون، الدولة الموحدية: 3، 4، 8، 9، 16، 59، 60، 70
- هـ -
بنو هاشم: 68، 69
بنو هلال: 4، 7، 13، 57، 69
هوارة: 69
- ي -
اليمنيون: 7، 62
اليهود: 7، 56

ثالثا: فهرس الأماكن

- الهمزة -
أذربيجان: 6
إسبانيا: 56، 60
الإسكندرية: 33
إشبيلية: 15، 16، 19
إفريقية: 3، 7، 62
الأندلس: 3، 7،11، 13، 14، 15، 19، 20، 45، 51، 54، 56، 60، 70
أنقرة: 5
إيران: 6
- ب -
بجاية: 3، 12، 14، 19، 23، 55
البحر الأحمر: 11
بسكرة: 19، 20، 57
بغداد: 3، 6
بيت المقدس: 57
- ت -
تبريز: 6
تكرت: 57
تلمسان: 4، 12، 14، 16، 18، 19،

إيطاليا: 6
تونس: 3، 12، 14، 16، 20، 21، 23، 53، 60، 61
- ج -
جامع الأزهر: 21
جامع القصبة ببجاية: 19
- ح -
حلب: 6
- خ -
خانقاه بيبرس: 21
خوارزم: 58
- د -
دمشق: 6، 12، 22، 56
- س -
سجلماسة: 4، 58
سمرقند: 6
السودان الغربي: 10
- ش -
الشام: 5، 22، 45، 68، 70
- ص -
الصعيد: 9
الصين: 58
- ع -
العراق: 6، 14، 70
عين جالوت: 5
20
- غ -
غرناطة: 4، 12، 19، 23، 60
- ف -
فاس: 4، 12، 16، 20، 23
- ق -
القاهرة: 12، 21، 22، 23، 56
قسنطينة: 3، 20
قلعة بني سلامة: 20، 51، 52
القمحية، المدرسة القمحية: 21
القوقاز: 5
- ك -
كوكو (أرض كوكو): 58
- م -
ما وراء النهر: 14
مراكش: 4
المشرق: 4، 10، 13، 14، 15، 19، 21، 53، 55، 58، 59، 60، 62، 73
مصر: 3، 5، 9،8، 11، 12، 21، 22، 23، 45، 54، 57، 58، 60، 71،70، 72
مقابر الصوفية (بالقاهرة): 21
- ي -
اليمن: 5، 15
اليونان: 37، 54

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

البسملة ..... /
الإهداء ..... /
شكر وعرفان ..... /
المقدمة ..... أ – هـ
الفصل الأول: حياة ابن خلدون وعصره ..... **(1 – 24)**
المبحث الأول: عصر ابن خلدون ..... **-3-**
أولا: الأوضاع السياسية: ..... - 3 -
ثانيا: الأوضاع الاجتماعية: ..... - 7 -
ثالثا: الأوضاع الاقتصادية: ..... - 9 -
رابعا: الأوضاع الثقافية والعلمية: ..... - 12 -
المبحث الثاني: حياة بابن خلدون: ..... **- 15 -**
أولا: مرحلة النشأة والتحصيل العلمي ..... - 15 -
ثانيا: مناصبه ورحلاته بالمغرب: ..... - 18 -
ثالثا: هجرته واستقراره بمصر: ..... - 21 -
رابعا: تلاميذه ومؤلفاته: ..... - 23 -
الفصل الثاني: الجانب النظري التاريخي عند ابن خلدون ..... **(25 – 48)**
المبحث الأول: منهج نقد الأخبار عند ابن خلدون: ..... **- 27 -**
أولا: مآخذ ابن خلدون على المؤرخين: ..... - 27 -
ثانيا: أسس منهج النقد عند ابن خلدون: ..... - 31 -
ثالثا: مآخذ على منهج ابن خلدون النقدي: ..... - 36 -
المبحث الثاني: علم التاريخ وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون ..... **- 37 -**
أولا: مفهوم التاريخ عند ابن خلدون: ..... - 37 -
ثانيا: ابن خلدون وفلسفة التاريخ: ..... - 41 -
ثالثا: بين التاريخ وعلم الاجتماع: ..... - 46 -

الفصل الثالث: منهج ابن خلدون في تدوين التاريخ.....(49 – 72)
المبحث الأول: تاريخ ابن خلدون ..... – 51 –
أولا: تدوين ابن خلدون للتاريخ .....- 51 -
ثانيا: المادة التاريخية عند ابن خلدون .....- 54 -
ثالثا: تقويم تاريخ ابن خلدون .....- 58 -
المبحث الثاني: العلاقة بين النظري والسرد التاريخي ..... – 63 –
أولا: العلاقة بين المقدمة وككتاب العبر:.....- 63 -
ثانيا: تطبيق ابن خلدون لمنهجه في تدوينه للتاريخ:.....- 66 -
ثالثا: أثر نظريات ابن خلدون في الكتابة التاريخية: .....- 71 -
الخـاتمــة..... – 75 –
قائمة المصادر والمراجع: ..... – 79 –
الفهارس: ..... – 87 –
أولا: فهرس الأعلام:..... – 87 –
ثانيا: فهرس الشعوب والقبائل والدول: ..... – 90 –
ثالثا: فهرس الأماكن..... – 91 –
فهرس المحتويات ..... – 95 –